Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518
Volume 5(2), February 2018

Article History

Received/Geliş	Accepted/Kabul	Available Online/Yayınlanma
3 /12/2017	13 /01/2018	1/02/2018

بين ماض يهدر ومستقبل يفقد جامع قرطبة الكبير ومشروع تحويله الى ملكية خاصة (دراسة تاريخية-اثارية)

أ.م.د. عبير عنايت سعيد الدوسكي

المقدمة

هو (الجامع المشهور أمره الشائع ذكره من اجلّ مصانع الدنيا كبير مساحة وإحكام صنعة وجمال هيئة وإتقان بنية، تهمم به الخلفاء المروانيون فزادوا فيه زيادة بعد زيادة وتتميماً اثر تتميم حتى بلغ الغاية في الاتقان فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف، فليس في مساجد المسلمين مثله تنميقاً وطولاً وعرضاً..)[1].

هذا هو جامع قرطبة الكبير بعيون الحميري (ت886هـ)، من اروع ما خلده العرب المسلمون في اسبانيا والذي ما زال شاخصاً (رغم تعطل وظيفته الدينيه) ليكون شاهداً على ابداع المهندس والمعمار المسلم في هندسة التخطيط والبناء وبشكل منح المكان ميزة انفرد بها في تاريخ الفن المعماري ومثال للرقي الحضاري والعمراني واساساً لطابع العمارة والفن الاندلسي، حتى استحق من منظمة اليونسكو العالمية تسجيله عالمياً كأرث حضاري لاضخم بيت صلاة في الاسلام، وذلك ما سنحاول طرحه في دراستنا المتواضعة عن هذا الاثر المميز الذي يشيد باهتمام بني امية بالعمارة والخدمات العامة خاصة العمارة الدينية خدمة للصالح العام واشارة لهيبة الدولة كنوع من الدعاية السياسية امام الاعداء.

الدراسة مقسمة الى محاور وعناوين بطريقة التراتبية العددية، يشمل المحور الاول، المساحة والموقع، والثاني تناول التخطيط ومراحل البناء والاضافات، والثالث، اهتم بعرض مميزات الجامع الفنية والمعمارية، واسهب الرابع في عرض اهم الاحداث التاريخية التي شهدها الجامع ومحاولات تغيير هويته وملامحه العمرانية، ثم مناشدة او تنويه لما يتعرض له الموقع في العصر الحالي من تغيير لهويته الاسلامية العربية، واخيراً خاتمة قصيرة تليها قائمة لاهم المصادر المستخدمة في الدراسة.

هذا وارجو ان اكون قد وفقت في ترتيب المعلومة وطرحها عن الجامع، فأنا لا ادعي الكمال والجديد في الموضوع عدا مناشدة هي محاولة لعلها تجدي لايقاف مخطط الانتقال الرسمي لاكبر دليل وشاهد على التفوق الحضاري العربي من الاندثار والنسيان، والدعوة بتركه ملكاً للصالح العام... والله ولي التوفيق.

[1] صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت886هـ)، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهره، 1937، ص153.

بين ماض يهدر ومستقبل يفقد جامع قرطبة الكبير ومشروع تحويله الى ملكية خاصة
(دراسة تاريخية-اثارية)

أ.م.د. عبير عنايت سعيد الدوسكي

المحور الأول: المساحة والموقع:

يشغل جامع قرطبة مساحة واسعة جداً هي حصيلة جهود امراء البيت الاموي الذين تعاهدوه بالإضافات الفخمة ليستوعب جموع المصلين ويتلائم مع مكانة قرطبة حاضرة حكمهم فهي (ام المدائن وسرّة الاندلس وقرارة الملك)[1].

مجموع الاضافات والتوسيعات التي توافقت في تنسيقها وتخطيطها مع تخطيط البناء الاول للجامع، توافقت كذلك على اختيار الجهة الجنوبية للتوسعة (حيث تحريك جدار القبلة ومده للامام بمساحات كبيرة) عدا الزيادة الاخيرة للحاجب المنصور[2] الفخمة وكانت بجهته الشرقية وعادلت مساحة الجامع الاصلية، وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار يحار فيه الوصف[3]*.

بشكل عام يشغل جامع قرطبة مساحة (24,300م^2)[4] او بما يعادل خمسة افدنة[**] من حيث السعة وبشكل (4868م^2 للحرم و12189م^2 للصحن الواسع وسوره)[5] ويتشكل الحرم من تسعة عشرة رواق[***] عمودي يتقاطع مع ثلاثة وثلاثون رواقاً او صفاً افقياً باعمدته الرخامية الملونة واقواسها المزينة كالنخيل لرغبة المنشيء بتقليد الشام وعمارة اجداده للمسجد الاقصى وجامع دمشق ولادخال الملامح الحضارية السورية ودمجها بحضارة الاندلس لتجديد ما اندثر من

---

(1)تاريخ الاندلس، مجهول، تحقيق: عبد القادر بوبايه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص72.

(2) الحاجب المنصور، محمد بن عبد الله بن محمد بن ابي عامر المعافري (366-393هـ/976-1002م)، امير الاندلس مع هشام المؤيد، اصله من الجزيرة الخضراء وجده من اوائل الداخلين للاندلس مع الفاتحين قدم لقرطبة طلباً للعلم، ثم اتصل بالبلاط الخليفي وترقى في المناصب حتى تولى امورها وكالة لصغر سن هشام، ثم استقل بالملك (عام 380هـ) ونقش اسمه على السكة والطراز، وكان شهماً شجاعاً له غزوات كثيرة ضد الافرنج، عالماً محباً للعلماء، حسن التدبير والسيرة محباً للعمارة وضبط الرعية وايامه وصفت بالاعياد، توفي باحدى غزواته مريضاً ودفن بمدينة سالم شرقي الاندلس وهو صاحب الزاهرة، ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ)، دار الفكر، بيروت، 1978، ج7/217-218؛ المعجب في تلخيص اخبار المغرب، المراكشي، ابو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، شرح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص30؛ الاحاطة في اخبار غرناطة، ابن الخطيب، ابي عبد الله محمد بن عبد الله (ت776هـ)، شرح وضبط: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، م2/57-58.

(3)البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ابن عذاري، ابو عبد الله محمد (ت712هـ)، تحقيق: ليفي بروفنسال واخرون، دار الثقافة، بيروت، بلا.ت، ج2/359.

* ينظر شكل (1).

(4) جعل البكري (ت487هـ) مساحته الكلية (33,150 الف ذراع) ومقسمة على شكل (330 ذراع طول × 230 ذراع عرض للحرم)، و(128 ذراع طولاً × 105 ذراع عرضاً للصحن)، ينظر: جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك لابي عبيد البكري (ت487هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، ط1، دار الارشاد، بيروت، 1968، ص103.

وعند العميد فان المساحة كانت (22,250م2) للجامع كله، ينظر: اثار المغرب والاندلس، طاهر مظفر، بيت الحكمة، بغداد، 1988، ص238.

(**) الفدان؛ مقياس مساحة مصري يساوي (4009 قصبة، أي حوالي 6368م2. ينظر: هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الأردنية، 1955، ص97.

(5) مؤنس، حسين، رحلة الاندلس حيث الفردوس الموعود، ط2، الدار السعودية، جدة، 1985، ص68؛ الاثار الاسلامية الباقية في اسبانيا والبرتغال، عنان، محمد عبد الله، دراسة تاريخية اثارية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص22.

(***) الرواق، هو الساحة المحصورة بين صفين من الاعمدة موازية لجدار القبلة او ممتدة من الشمال الى الجنوب، او هو ممر عريض مسقوف محمول على اعمدة ويرادف لفظة المجنبة يحيط جوانب الصحن، ينظر: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، رزق، عاصم محمد، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2000، ص120.

اثارهم وحضارتهم في الشام واستمرارها[1]، وكان من ضخامة البناء وسعة المساحة والارتفاع إن اصبح اعلى مباني المدينة وابرزها فلم يكن في جميع بلاد الاسلام (جامع اعظم منه ولا اكبر منه ولا اعجب بناءاً)[2].

اتخذ موقعه بالجهة الجنوبية الغربية من المدينة في نهايتها وقريباً من الباب المدور احد بواباتها القديمة ليطل ويشرف على الجانب الايمن لنهر الوادي الكبير وقنطرته الشهيرة جنوباً وبمحاذاة الطريق الرئيسي القديم المعروف بالمحجة الكبرى والذي ينتهي عند السور حيث باب ليون للخارج من قرطبة إلى جهة الشمال، اقيم على بقعة صخرية كبيرة، وازقة ضيقة تدول حوله من جهاته الاربع وتوصل اليه[3].

اصل الموقع كنيسة رومانية قديمة (سنت بنجنت)، لكن اقتضت ضيق المدة وضرورة اضفاء الهوية الاسلامية الاستعانة ببناء مفروغ منه واقتداءاً بفتح دمشق وتقسيم كنيستها، فتشارك المسلمون نصفها لاداء صلاتهم عند حروب التحرير الاموية وفتح الاندلس عام 92هـ/ 708م، وحولوه (النصف) الى مسجد بسيط من اللبن والسقائف بدون تخطيط، ثم تكاثرت فيه السقف والظلل تباعاً بجهته الشمالية لحماية العدد المتزايد للمصلين من الشمس، وكان تأسيسه ونصب قبلته على يد اثنين من التابعين المشاركين في التحرير لانه (العمل الهام الذي كان شاغل المسلمين الاول بعد افتتاحهم قرطبة)[4](**)، حتى امارة عبد الرحمن الداخل (138-172هـ)[5] الذي استطاع بالاتفاق مع رجال الدين النصارى شراء

(1)قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، سالم، السيد عبد العزيز، دراسة تاريخية عمرانية اثرية في العصر الاسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971، ج1/48، 53؛ العميد، اثار، ص222.

- يرفض مورينو فكرة تقليد جامع دمشق للوليد ويبين الفرق بينهما، ينظر: الفن الاسلامي في اسبانيا، مانويل جوميث، ترجمة لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية للكتاب، 1997، ص35-36.

(2)تاريخ، مجهول، ص80، كذلك ينظر لوصفه، مسالك الابصار في ممالك الامصار، العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت749هـ)، تحقيق: كامل سلمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، م1/266-267.

(3) ينظر: وصف الموقع، الحميري، صفة، ص156-157؛ تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، سالم، السيد عبد العزيز، دار المعارف، لبنان، 1962، ص302-304؛ رحلة، مؤنس، ص56؛ اثار،عنان، ص19.

(4)قرطبة، سالم، ج1/33؛ ينظر: فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ابو القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ)، لندن، 1858م، ص4-5، تاريخ افتتاح الاندلس، ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر بن مزاحم (ت367هـ)، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص33، 35؛ ذكر بلاد الاندلس، مجهول، تحقيق: لويس مولينا، المجلس الاعلى للابحاث العلمية، مدريد، 1983، ج1/36، المعجب، المراكشي، ص16؛ قرطبة، سالم، ج1/315-316؛ اثار، العميد، ص219.

(*) البناء الاول كان بسيطاً لعدم توفر الامكانية الفنية والمعرفة باماكن مواد البناء من حجر ورخام، والاهم هو انشغالهم باستكمال حروب التحرير، تاريخ،سالم، ص382.

(5) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، صقر قريش اول امراء بني امية بالاندلس، كنيته ابو المطرف ولد بالشام عام (113هـ)، وتوجه للاندلس هرباً من ملاحقة العباسيين وتمكن من السيطرة عليها وهزيمة واليها وجعل قرطبة مركزاً لحكمه (عام 138هـ) واليه يرجع فضل تمصيرها وتنظيمها ادارياً وتجميلها، كان من اهل العلم والعدالة والمعرفة الادبية اتصلت ولايته حتى وفاته ودفن في قصر قرطبة، ينظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، الضبي، احمد بن يحيى بن عميرة (ت599هـ)، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ج1/33؛ تاريخ اسبانيا الاسلامية، ابن الخطيب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، 1956، ص10؛ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)، تحقيق: مريم قاسم الطويل واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج1/318، 320-322؛ تاريخ، ابن القوطية، ص54؛ الكامل، ابن الاثير، ج4/362-363؛ ج5/124، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ)،بيضون، ابراهيم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص218.

نصف الكنيسة الاخر مقابل عدة تعويضات[1] لمشروع البناء الجديد وشرع بهدم المكان واستحضار عرفاء البناء والايدي العاملة[***] وموادها استعداداً للبناء[2]، وبشكل يعكس مظاهر الرخاء والقوة لامارته ومراعاة للمصلحة العامة بمعالجة ضيق المكان بأقامته صرح ديني فريد بقرطبة يتلائم ومكانتهم السياسية[*] ويحاكي شعور الغربة وحنينه لاثار اجداده بالشام، فكان الانشاء لجامع قرطبة الكبير الذي ليس في معمور الارض مثله، وثاني اهم امرين يذكران لايام حكم الامير الداخل بالاندلس[3].

المحور الثاني: التخطيط ومراحل البناء والإضافات[**]:

حرص عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) على اقامة مسجد جامع فريد من نوعه ومساحته مع مراعاة سرعة العمل ليستوعب المصلين في الجمعة الجامعة بقرطبة، وبهندسة مميزة وفريدة رغم بساطتها تحاكي انجازات اجداده الامويين العمرانية بالشام والتي حرص عرفاء البناء على ابرازها فكان حريصاً على جعلها (دمشق اجداده وبغداد عصره)[4].

جاء تخطيطه، عمارة فارهة المساحة مع بساطة الزخارف والمعمار، مستطيلة الشكل مقامه على مساحة واسعة من الارض (3200م)[***] بابعاد (96م طولاً و79م عرضاً)، عبارة عن صحن مكشوف على الطراز الاندلسي، مستطيل بعرض (36م) تدور حوله ابهاء اشجار الحمضيات وتتوسطه حوض ماء ونافورة لاغراض جمالية وللتبريد والتهوية، شغلت

---

(1) للتفاصيل ينظر: مجهول، اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص20-23؛ الكامل، ابن الاثير، ج5/395؛ البيان، ابن عذاري، ج2/58، 229؛ ذكر بلاد الاندلس، مجهول، ج1/36؛ تاريخ المغرب والاندلس، الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984، ص84.

(**) يرى الاستاذ سالم إن اغلبهم من السوريين، ينظر: قرطبة، ج1/53.

(2) اختلفت اراء علماء الاثار حول موقع البناء من الكنيسة، ومنهم من رفض اساساً الفكرة بالاعتماد على نتائج الحفريات الاثارية لارض المسجد، وناقش الاستاذ سالم مطولاً ذلك بالاعتماد على الروايات التاريخية التي تؤكد الامر وقارنها بنتائج الحفريات النافية للامر، وتوصل للاتي: إن الداخل اعتمد جعل الصحن للمسجد الجديد من البناء القديم (السقائف واللبن) لسهولة هدمها على العكس من بناء الكنيسة وكتلها البنائية الضخمة، ثم بنى الباقي == ==(بيت الصلاة) بموضع ارض الكنيسة حيث اعتمد على مباني ملحقاتها للعمل واعتمد على جدرانها الخارجية كجدران للجامع، وهنا تصح المقولة، بانه بنى في الموضع الذي كانت تقوم عليه الكنيسة وملحقاتها، لذلك جاء الصحن شمالاً من البناء القديم وبيت الصلاة بالجانب الغربي من ابنية المسجد، للتفاصيل ينظر: قرطبة، ج1/272-280؛ كذلك الفن، مورينو، ص16-18؛ العميد، م س، ص211-212، 215-218، مؤنس، م س، ص71.

(*) ينظر: وصف قرطبة وتطورها خلال حكم الامويين، ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت 367هـ)، صورة الارض، مكتبة الحياة، بيروت، بلا.ت، ص111-113؛ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت390هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص187-190؛ المسالك والممالك، الاصطخري، ابن اسحق ابراهيم بن محمد (توفي منتصف ق 4هـ)، تحقيق: محمد جابر، الجمهورية العربية المتحدة، 1961، ص35.

(3)خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ابن الوردي، سراج الدين ابو حفص عمر (ت861هـ)، مصر، 1992، ص12؛ كذلك اندلسيات، الحجي، عبد الرحمن علي، ط1، دار الارشاد، بيروت، 1969، ص41؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس دراسة تاريخية عمرانية في العصر الاسلامي، الاسكندرية، 1997، ج2/83.

(**) لقد افاض المهتمون بالتاريخ الاندلسي بوصف الجامع وذكر محاسنه واوصافه ولم يتركوا مجالاً لجديد يذكر لكن تقتضي طبيعة البحث الاشارة باختصار لاهم تخطيطاته وتوزيع باقي المعلومات على صفحات البحث.

(4)قرطبة،سالم، ج2/85.

(***) تعتبر مساحة واسعة مقارنة بمساحة قرطبة على عهد الداخل وكانت صغيرة محيط اسوارها لا يزيد عن اربعة كم، أتم ابن حوقل دورانه حولها بساعة واحدة، ينظر: صورة الارض، ابن حوقل، ص108؛ قرطبة،سالم، ج1/167.

مساحته ثلث مساحة المكان[1]، ويتوصل اليه من الباب الرئيسي (باب الغفران) ذي الامتار السبعة، والزخارف النباتية شمال المنارة[2]، ومن هذا الصحن نتحول الى القسم الثاني للمبنى وهو بيت الصلاة (62,60م عرض × 38,05م طول) المسقف الذي اتخذ من القسم الجنوبي الغربي للصحن موقعاً له وفي واجهته الشمالية المطلة على الصحن اقيم اقدم باب للجامع حالياً هو باب شنت اشتين[3]، يتوصل اليه من المدخل الباب الرئيسية على تأسيس الداخل و(باب النخيل)[4]، حيث رواق واسع تعلوه اقواس مزدوجة تتوزع خمسة على يمينه ومثلها على شماله، وعند المنتصف يوجد جدار الجامع الاول وتحته وضع محراب الجامع القديم (الاول)[5] وصلى به صقر قريش قرب الزاوية اليمنى للجامع، مؤلفة بذلك تسعة بلاطات[*] بثمانية صفوف تتعامد على جدار القبلة بمواجهة حائط المصلى بكلا الاتجاهين (تقليد للعمارة الاموية بالمسجد الاقصى) ترفع اقواسها المزدوجة[**] وسقف المبنى بواسطة اعمدة رخامية دقيقة القطر مختلفة الالوان والاحجام والانواع (قوطي، روماني)، اعتمد لتحصيلها من المباني الخربة والمعابد القديمة لجودتها ومتانتها وتوفرها وكذلك لعامل السرعة في انجاز العمل وعدم توفر الوقت لاستيرادها او البحث عن مواد بناء جديدة، واجزل المال لاستحضارها[6]، لان الجامع (منارة السلطة والنفوذ الذي يعد بحق نقطة ارتكاز المجتمع الاسلامي كله في الاندلس)[7]، وتمكن عرفاء البناء ومهندسيه من معالجة اختلافات الاحجام والاطوال بطريقة فنية هندسية جديدة جعلت المبنى فريداً في بنائه وهندسته ونموذج لم يجرؤ احد على تكراره لعبقريته، فكرته استعمال اعمدة رخام دقيقة لتعقد عليها اقواس بينها ثم نصب اعمدة ثانية على قاعدة الاولى الحجرية والتي تتبعها قاعدتين اوسع، ثم عقد اقواس ثانية عملت من الحجر الجيري والطوب الاحمر وبشكل متعاقب فبدت كانها زخرفة لسعف النخيل، ثم يأتي السقف الذي اعتمد الحسابات الرياضية الدقيقة ليقف على حجم الاعمدة ومدى تحملها للثقل والدفع للعقود المعتلية للاعمدة ولتثبيتها، فتقرر جعله من الخشب الصنوبري الطرطوشي الاحمر لمتانته وعدم تأثره بعوامل الزمن على شكل الواح ثبتها بمادة الجص والاعمدة الخشبية بنظم منشورية ومسنمة، وزينه بنقوش كتابية

(1) ينظر: جغرافية الاندلس، البكري، 103؛ مسالك،العمري، م266/1؛ معجم مصطلحات، رزق، ص261؛ قرطبة، سالم، ج273/1، 276؛ العميد، م.س، ص220؛ مورينو، م س، ص29-30.

(2) هو اول باب رئيسي للمبنى زاد بعدها الى تسعة ابواب فخمة، ينظر: اثار،عنان، ص22.

بسبب مجاورته لنهر الوادي الكبير فان جميع التوسيعات كانت تتم ببيت الصلاة وشماله، ينظر: قرطبة، سالم، ج287/1، 315؛ اثار،عنان، ص22.

(3) ينظر: العميد، م.س، ص220-222؛ الفن، مورينو، ص29-30؛ قرطبة، سالم، ج317/1.

(4) حالياً هو باب القديس اصطفان؛ ينظر: رحلة، مؤنس، ص72.

(5) تمت الاستعانة بالمحراب القديم للمسجد تبركاً باصحابه التابعين واختصاراً لوقت العمل، فنقل إلى البناء الجديد وكان حنية نصف دائرية بسيطة، قرطبة،سالم، ج276/1.

(*) البلاطة: هي حجز البائكتين او بائكة وجدار وتكون موازية لجدار القبلة، ينظر: رزق، م.س، ص32.

(**) ينظر شكل (2).

(6) ينظر: الفن الاسلامي، كونل، ارنست، ترجمة: احمد موسى، دار صادر، بيروت، 1966، ص122؛ مورينو، م.س، ص30-31؛ مؤنس، م.س، ص72، 80؛ عنان، م.س، ص24؛ العميد، م.س، ص221؛ الفقي، م.س، ص74.

(7)، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس،الجيوسي، سلمى مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ج865/2.

وشريطية للآيات القرآنية وبالالوان المذهبة على الطراز السوري (وكان معمارياً ممتازاً وحاسباً دقيقاً فتم له ما اراد)[1]، وهي الميزة الثانية لجامع قرطبة والنادرة بالاضافة الى صحن اشجار النارنج الذي بات صفة ملازمة لعمارة المساجد بقرطبة لان اعمال العباقرة لا تتكرر ولا تقلد[2].

بذلك تمت معالجة الاختلاف بين الاعمدة والتي يرجعها مؤنس[3] الى تغيير في خريطة البناء وزيادة بالسعة جنوباً، والى جهوزية الاعمدة وكذا اساسات الجدران ومخافة عدم ملائمة التغيير مع ارتفاع السقف (9م)، ولزيادة تقويته وجماليته، فتم استعمال فكرة الاقواس الهوائية المزدوجة والتي اضافت لبهو الجامع مزيداً من الانارة والسعة فكان فناءاً واسعاً بالاسفل وقاعدة لحمل السقف بالاعلى بالاضافة للهدف الجمالي[4]، تعطي الداخل افقاً لا ينتهي من الاعمدة الطويلة الممتدة تتقاطع مع الصفوف بمنظر يشبه بستان نخيل، وكان الاستعمال الاول في البناء الاسلامي[*]، وتلك فكرة تحتاج جرأة بالعمل ومعادلة حسابية دقيقة لموازنة ثقل السقف والاقواس على الاعمدة ومدى تحملها وبطريقة تتيح المجال للتوسعة والتغيير، ابتكرها المعمار العربي وانفرد بها جامع قرطبة وبشكل يؤكد بان (العرب هم اعظم مهندسي الدنيا)[5]، والتي اضافت للمبنى ميزة جديدة وانفراد في التخطيط والبناء الذي صار احد النماذج الاصلية للمسجد المسقوف المرتكز على اعمدة ممتدة لمساحات واسعة بالاعتماد على تكرار الدعامة الواحدة والعمود واقواسه وبشكل يساعد على الاضافة والتعديل المعماري، ومن هذه الاقواس المزدوجة ورواقاتها المتعامدة يتم الانتقال والانفتاح لصحن الجامع لغرض الاضاءة، فلا يفصل بين القسمين باب او جدار[6].

اقيم للجامع واجهة رئيسية ضخمة وبوابة في الجهة الشمالية منه، عبارة عن كتل كبيرة من الحجر الجيري الاصفر اللون (بسمك 1,14م) حملت من سور اربونة مرتبة بشكل تعاقبي افقي وعمودي بالتناوب بواسطة الجير والرمل لتعطي سهولة بالعمل، وكذا جدرانه الخارجية المنيعة بأسسها الحجرية الوطيدة بسبب طبيعة الارض المنحدرة نحو النهر، والجميع

(1) مؤنس، م.س، ص70؛ لتفاصيل السقف وزيته وزخارفه ينظر: خريدة،ابن الوردي، ص12؛ مسالك،العمري، م1/266-268؛ صفة، الحميري، ص154.كذلك: حضارة العرب في الاندلس، بروفنسال، ليفي، تحقيق: دوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، ص212؛ الفن،كونل، ص20؛ العميد، م.س، ص221-222؛ سالم، م.س، ج1/317-318، 382-383؛

(2) مؤنس، م.س، ص69-70؛ الدولة،بيضون، ص322.

(3) ينظر: رحلة، ص70-71، 80.

(4)نص جديد من كتاب فرحة الانفس، ابن غالب، محمد بن ايوب الغرناطي (ت ق6هـ)، تحقيق: لطفي عبد البديع، مصر، 1956، ص30؛ مورينو، م.س، ص31، 38، 38، 42؛ مؤنس، م.س، ص69-70؛ العميد، م.س، ص221-222.

(*) هناك راي يذكر بان الفكرة مقتبسة عن هندسة سقاية رومانية الاصل بمدينة ماردة، عبارةعن اقواس ثلاثة مرتكزة على الاعمدة الحجرية الضخمة، وهو الفارق الاول لان اعمدة الجامع كانت رخام دقيق الحجم (بقطر 25سم)، ويرفض الاستاذ سالم فكرة السقاية والاقتباس عنها ويؤكد انه ابتكار المعمار المسلم الاندلسي، للتفاصيل: قرطبة، ج1/320-321؛ مورينو، م.س، ص42، 46-49؛ بروفنسال، م.س، ص212.

(5) مؤنس، م.س، ص69؛ كذلك الدولة،بيضون، ص321-322؛ قرطبة،سالم، ج1/319.

(6) حرص المهندس على ذلك لتحمل التوسعة والاضافة، ينظر: مؤنس، م.س، ص104؛ قرطبة،سالم، ج1/319؛ مورينو، م.س، ص30-31؛ الجيوسي، م س، ج2/265.

مزخرف منقوش بسيط، هي اقتباس من المنشآت الرومانية والمستعمل في العمارة الشامية المتشابهة مع القوطية، ومزودة بركائز قوية لدعمها بتلقي ضغط الاعمدة لجدار القبلة وبشكل اكسب المكان صفة القلاع[1].

ومن الواجهة يتوصل الى البوابة الرئيسية ثم الرواق المسقوف الدائري ثم الى الابواب الداخلية، جعلها المهندسون ثلاثة لمصلى الرجال واثنان لمصلى النساء، واقدم ابواب الجامع هو بواجهة البناء المسقف الشمالية المطلة على الصحن اسماه الاسبان باب المغفرة[2].

فرشت ارضية الجامع بالبلاط الترابي الذي عكس الوان السقوف المتعامدة والنقوش الكتابية، وعلى الطراز والنسق السوري، ولون الجدران الاصفر بشكل يضفي حالة السكينة والخشوع عند الصلاة ويدل على فخامة الانفاق ومواد البناء[3].

استلزمت هذه العمارة الفارهة ايدي عاملة ومهندسين وايضاً الاستعانة بسكان البلد القوط وكذلك مواد بناء كثيرة جلبت من مناطق قرطبة وابنيتها الخربة بالاضافة الى البلاد المجاورة، وايضاً نفقة بناء بلغت ثمانين الف دينار[4](*)، وسنوات وسنوات عمل اختلفت المصادر في مدتها ما بين ستة سنوات الى سنة او سنتين وهو الرأي الاقرب (168-170هـ)[5] لتوفر مستلزمات العمل والسرعة لتجهيزه لاداء الجمعة الجامعة، فكان بسيط الزخارف والبناء(**) وتولى الوزير (عبد الله بن خالد) الاشراف على العمل وبتكليف من الداخل الذي توفي[6] قبل الانتهاء من جميع مراحل البناء فأتمها ولده الامير هشام (172-180هـ)[7]، وهو المشهور بحبه للعمارة والاعمار فكانت الاضافات الاولى للمبنى (..وهو الذي اكمل

---

(1) ينظر: وصف الواجهة والركائز، العميد، م.س، ص222؛ بروفنسال، م.س، ص214؛ كونل، م.س، ص20.

(2) مؤنس، م.س، 104؛ العميد، م.س، ص274.

(3)نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت560هـ)، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1986، ج185/1؛ خريدة، ابن الوردي، ص12؛ المقري، نفح، ج548/1؛ قرطبة، سالم، ج319/1، 379-380، 383؛ مؤنس، م.س، ص72؛ مورينو، م.س، 22-23، 31، 38.

(4)العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، م146/4-147؛ 147؛ الكامل، ابن الاثير، ج363/4؛ ابن عذاري، م.س، ج229/2.

(*) وهي مئة الف دينار عند تاريخ الاندلس، ينظر: مجهول، ص72.

(5)فتح الاندلس،مجهول، تحقيق: نواكين، الجزائر، 1989، ص67؛ ابن الاثير، م.س، ج109/6؛ المقري، م.س، ج97/1، 318؛ مؤنس، م.س، ص76؛ مورينو، م.س، م.س، ص15-16.

(**) اختلفت اراء الاثاريين حول ذلك تبعاً لسعة المساحة وهندسة الاعمدة المزدوجة ونرى ان بساطة الزخارف والبناء البعيد عن التعقيد عدا نظام اعمدتها، والرغبة بسرعة الانجاز وتوفر مواد العمل والاعمدة وكذا الايدي العاملة والمال اللازم ساعد على تقليل المدة، للتفاصيل، ينظر: سالم، م.س، ج272/1-276؛ مورينو، م.س، ص24-25؛ العميد، م.س، ص212-214؛ بروفنسال، م.س، ص212.

(6) كان لانشغاله بمجموعة مشاريع عمرانية سبباً لعدم بنائه للمنارة وللسرعة باتمام العمل ليجهز للصلاة حيث اعتمد المحراب القديم وترك المئذنة وعملها وكذا السقائف، ينظر: ينظر: سالم، م.س، ج275/1-276، 288؛ العميد، م.س، ص214-215.

(7) هشام بن عبد الرحمن الداخل (139-180هـ)، وكنيته ابا الوليد، ولد عام (139) وامه ام ولد، وكان حسن السيرة متحرياً للعدل ومحباً للاسلام مجاهداً ومشجعاً عليه، وكان يرسل بصرر المال للمساجد في الايام الممطرة يريد عمارة المساجد بالمصلين وايامه كانت خير وعافية، اتصلت ولايته حتى توفي عام (180هـ)، ينظر: بغية، الضبي، ج33/1؛ الكامل،ابن الاثير، ج125/5؛ المعجب، المراكشي، ص24؛ تاريخ اسبانيا، ابن الخطيب، ص11، 13؛ العبر،ابن خلدون، م149/4، 151؛ اخبار مجموعة، مجهول، ص11؛ الدولة، بيضون، ص223.

سقائف المسجد بقرطبة ورفع منارته القديمة وبنى الميضاءة القديمة)[1] وارى ان سعة المساحة والبناء انعكست على وقت انجاز العمل في حياة الامير الداخل ذلك ان عمارة الامير هشام استغرقت وقتاً اطول ونفقة اكبر بكثير كانت حصة الدولة من غنائم معركة اربونة عام (177هـ/793م) وقيمتها خمس واربعون الف قطعة ذهبية وايضاً سنوات ثمانية (171-179هـ/787-821م)[2]، شملت المنارة الهشامية الضخمة الشكل (طول ضلعها 6م)، وبارتفاع اربعون ذراع اتخذت من شمالي الصحن الى يمين الداخل موقعها وتعتبر اقدم المآذن بالاندلس[*]، وحوض ماء وميضاءة استمدت مائها عبر قنوات خاصة من مصادر الري للمدينة ونهر الوادي الكبير الذي جاور المبنى وموقعها بشرقي الجامع تحديداً الزاوية الشمالية الشرقية من جدار الجامع، بالاضافة لاتمام سقائف الصلاة للنساء (المجنبات) والسقيفة الجوفية التي عمل بابين لها الحقها بالمصلى اقيمت في جهته الشمالية على جانبيه (وكانت زيادة كثيرة)[3]، وسرعان ما ضاقت مساحة الجامع عن استيعاب استيعاب جموع المصلين والوافدين للاندلس وقرطبة حاضرة الامارة الاموية للرخاء والامان الذي شهدته عهد الامير عبد الرحمن الاوسط[4]، (206-238هـ/822-852م) الذي اطلق على عصره تسمية ولاية العروس، ذلك انه ظل الجامع الوحيد الذي تقام فيه الجمعة (...حتى تضايق عنهم مسجد جامعها.. فكانوا يلقون في اقتحامه فدحاً، فامر عند ذلك بتوسيعه والزيادة فيه....)[5]، واوكل هذه المهمة الى نصر ومسرور مواليه وايضاً محمد بن زياد قاضي قرطبة للاشراف ومتابعة العمل والتوسعة في جهته الجنوبية والتي جاءت مطابقة تماماً لعمارة الداخل من حيث الهندسة والوان الاعمدة وتيجانها ومصادرها وتفنن المعمار في جعلها قالباً واحداً مع تطور فني بهندسة العقود المزدوجة والاقواس فاتخذت شكل حدوة الفرس وهي اول استعمال في البناء الاسلامي، وتناسبت واتحدت مع البناء الاول فزاده جمالية وبهاء[6].

---

(1) ابن عذاري، م.س، ج218/2؛ كذلك ابن الاثير، م.س، ج363/4؛ المقري، م.س، ج317/1، 326.

(2) ينظر: ابن القوطية، م.س، ص62؛ المعجب،المراكشي، ص16؛ ابن الاثير، م.س، ج69/7؛ ابن عذراي، م.س، ج64/2؛ المقري، م.س، ج97/2؛ تاريخ، مجهول، ص183؛ الفقي، م.س، ص80.

(*) هي اول منارة تبنى للجامع، حيث كان الاعتماد سابقاً على احد ابراج القصر المجاور وتوظيفه لمهمة الاذان، ينظر: تاريخ الاندلس، مجهول، ص16؛ قرطبة،سالم، ج289/1.

(3) مجهول، تاريخ، ص82؛ للتفاصيل ينظر: فرحة، ابن غالب، ص30؛ ابن عذاري، م.س، ج230/2؛ نزهة،الادريسي، ج186/1؛ المقري، م.س، ج326/1؛ ذكر بلاد، مجهول، ج36/1؛ بروفنسال، م.س، ص212؛ بيضون، م.س، ص230؛ العميد، م.س، ص222.

(4) عبد الرحمن الاوسط، بن الحكم بن هشام (206-238هـ)، وكنيته ابا مطرف، ولد بطليطلة عام (176هـ)، وتولى وله ثلاثون عاماً، كان وادعاً محمود السيرة عالماً بالفلسفة وايامه هدوء اتصلت ولايته حتى وفاته عام (238هـ) ودفن في مقبرة الخلفاء بقصر قرطبة، وفي ايامه احتفلت دولة بني امية بالاندلس وعظمت الالقاب وشيدت القصور، فهو اول من فخم السلطة هناك، وتوافدت عليه الوفود، وتشبه بالوليد بن عبد الملك في ابهة الملك، حتى عرفت ايام حكمه بولاية العروس لبهاءها، وهو اول من اوصل الماء العذب بانابيب رصاص للمنازل بقرطبة. ينظر: المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الغرناطي، علي بن موسى بن محمد (ت640هـ)، حقق حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج18/1؛ ابن القوطية، م.س، ص75، 77؛ بغية،الضبي، ج35/1؛ ابن الاثير، م.س، ج288/5، 418؛ تاريخ، ابن الخطيب، ص18-19؛ العبر،ابن خلدون، م157/4؛ اخبار، مجهول، ص122؛ الفقي، م.س، ص104.

(5)المقتبس من انباء اهل الاندلس، ابن حيان، ابو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت469هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص245؛ المقري، م.س، ج334/1.

(6) مؤنس، م.س، ص81؛ سالم، تاريخ، ص39؛ مورينو، م.س، ص52-54، 117؛ كونل، م.س، ص20.

التوسعة تمت على مرحلتين الاولى عام (218هـ/834م) وبشكل افقي حيث صدرت الاوامر (...ان يكون ذلك من قبل قبلته في الفضاء ما بينها وبين باب المدينة القبلي الراكب للقنطرة)[1]، والثانية عام (234هـ/848م) وبشكل طولي (...من موقف حد المسجد الاول الى ناحية القبلة)[2].

فشملت التوسعة زيادة البلاطات التسعة للمصلى ببلاطين جديدين مساحة كل منهما[*] (9,5 ذراع) على يمينها وشمالها، ومد الكل جنوباً بمسافة (26م) فصارت احد عشر، ثم ربطهما بسقيفتين جديدتين (لكل منهما تسعة عشر سارية) الى سقائف النساء (عمل الامير هشام) بواسطة الابواب القبلية، ثم زاد سقيفة جديدة في نهاية الصحن من الشمال وربطها من جانبيها بالاثنتين الجديدة وخصصها لصلاة النساء ايضاً وجعل بها ثلاث وعشرين سارية، وايضاً زاد في ابواب المصلى بابين بعرض (5 ذراع) جعلهما من نهاية البناء الاول للجامع جهة القبلة شرقها وغربها، وهو باب الوزراء في جدار المصلى الغربي المواجه للقصر في زيادته الاولى وخصصه لرجال الدولة، والشرقي منه خصصه لعبوره من خلال ممر مسقوف (ساباط) عام (243/848م)؛ وبذلك (كملت ابواب الجامع سبعة ابواب)[3].

وفي التوسعة الثانية اصدر اوامره لعرفاء البناء بان تمد بلاطات الجامع طولياً للجنوب لتشغل الفضاء بين القبلة القديمة وباب المدينة القبلي وبمسافة (23,50م) من الجنوب للشمال تمت الاستعانة بثمانين عامود لاتمامها، واضيفت بابان جديدتان في الجدارين الشرقي والغربي (باب الامير) لاتصاله لاحقاً بالساباط الى القصر، فصار مسجداً ثانياً بداخله (مسجد عبد الرحمن الاوسط) واصبح للجامع بذلك تسعة ابواب[**]، وعمل الاوسط على تقوية الجدران الخارجية بواسطة ركائز كبيرة اعطته صفة القلاع لضخامتها بشرفاتها المسننة وعلى نسق جامع الزيتونة بتونس[4]، وامر الاوسط بعمل محراب محراب مميز بعمودين من الرخام يزيناه تم نقلهما لاحقاً الى المحراب الثالث من عمل المستنصر وكان (لا نظير له)[5].

لم تذكر المصادر كلفة التوسعة لكن ذكرت ان اول جمعة بعد التوسعة كانت في ربيع الاول عام (234هـ/848م)، واحتفل بالتوسعة فصار يستوعب حوالي السبعة الالاف مصلي وعلى مساحة الفي متر تقريباً (1796م)؛ اي بزيادة حوالي نصف المساحة الاصلية للجامع (فكثر يومئذ...الدعاء للامير عبد الرحمن والثناء عليه...)[6].

---

(1) ينظر: ابن حيان، م.س، ص245.

(2) م.ن؛ كذلك، ابن عذاري، م.س، ج230/2؛ تاريخ،مجهول، ص81-82.

(*) ذكر البكري ان عرض اوسطها كان (16 ذراع)، والذين يليانه على جانبيه (14 ذراع) والستة الباقية بعرض (11 ذراع)، ينظر: جغرافية الاندلس، ص103.

(3)المقتبس،ابن حيان، ص245-246؛ كذلك ابن الاثير، م.س، ج418/5؛ ابن خلدون، م.س، م157/4؛ المقري، م.س، ج334/1؛ ذكر بلاد، مجهول، ج36/1-37؛ مورينو، م.س، ص58.

(**) توزعت الابواب كالاتي ثلاثة بجوانب الصحن، اربعة متوزعة ببلاطاته شرقية وغربية، بمعدل بابان لكل جهة، وجعل لسقائف النساء بابان، ينظر: قرطبة، سالم، ج327/1، 309، 393؛ العميد، م.س، ص223-224.

(4) مؤنس، م.س، ص82؛ قرطبة،سالم، ج294/1-295، 318؛ الدولة،بيضون، ص272.

(5) ابن عذاري، م.س، ج238/2؛ ابن الوردي، م س، ص12.

(6) ابن عذاري، م.س، ج95/2.

والى الامير محمد بن عبد الرحمن[1] (238-273هـ/852-886م) المشهور بحبه للبناء والانفاق على كل جديد من الالاته وعمارته، يرجع الاهتمام باتمام زخرفة المسجد وابوابه وتنميق نقوشه التي توفي والده قبل انجازها، فأتمها على اكمل وجه ومنها الواجهة والبوابة الغربية المعروفة بباب الوزراء الموصلة الى المصلى وكانت تلفت بفعل الرطوبة فجددها وزخارفها وزين كذلك عقود ومساند الجامع الاول عام (241هـ/850م) وذلك موثق على عقد الباب الغربي الجديد اعلاه (سان استبان)، بنقوش كتابية وزخارف نباتية[*]؛ كما حرص واهتم على ترميم وتجديد ما تأثر من بناء وعمارة جده الداخل، بعد ان استلم تقريراً عن الاضرار من لجنة الكشف التي ارسلها بأثر ما وصله من القاضي أبن زياد يعرض عليه خطورة ونوع الضرر لبعض الاماكن بفعل عوامل الزمن، فاصدر اوامر للعرفاء والمهندسين بالانفاق على اعمال التصليحات والترميم والتي شملت من الصحن وحتى زيادة وتوسعة والده وسط المصلى وبعد ان مدّها للقبلة، وامر باصلاح وتقوية الحوائط وبأشراف القاضي (..فأنهض بذلك راشدا...)[2]، فازاح علتها وبالغ في اتقانها واعادها الى نشأتها، ولاستكمال انجازاته فأنه اصدر اوامره للعرفاء بعمل مقصوره[**] داخل المسجد جعل لها ابواب ثلاثة اتخذت مكانها مما يلي المحراب، كانت الاولى في مساجد الاندلس، وبعد انتهاء الاعمال في (250هـ/864م)؛ حضر الامير للمسجد واطلع مسروراً على الانجاز وصلى في المقصورة الفخمة (وكان اول من اتخذها هناك من الخلفاء)[3].

احتاج الجامع الى اعمال صيانة جديدة تمت عهد الامير المنذر[4] (273-275هـ/886-888م) حيث اصلح المتضرر من زخارف المسجد وجدد السقاية والميضأة وايضاً السقائف، واليه ينسب بناء (بيت المال) وهو المكان المخصص لحفظ الاموال الموقفة لغياب اصحابها باحد اركان الصحن[5].

---

(1) محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وكنيته ابا عبد الله ولد عام (207هـ)، وامه ام ولد حسن السيرة، محباً للعلوم مؤثر لاهل الحديث، اشتهر بحبه للعمران والبناء والانفاق بسخاء عليه توفي عام (273هـ)، وكانت لايامه جلالة وجميل اثر، ينظر: المقتبس من أنباء اهل الاندلس (الجزء الخاص بولاية محمد بن عبد الرحمن)،ابن حيان، ابو مروان، حيان بن خلف (ت469هـ)، تحقيق: محمود علي مكي، الكتاب العربي، بيروت، 1973، ص101؛ ابن القوطية، م.س، ص86، 113؛ المعجب، المراكشي، ص25؛ بغية، الضبي، ج36/1؛ المغرب،ابن سعيد، ج22/1؛ ابن خلدون، م.س، م159/4؛ اخبار مجموعة،مجهول، ص126؛

(*) مورينو، ص64، نص النقش (...امر الامير اكرمه الله محمد بن عبد الرحمن ببنيان ما حكم به من هذا المسجد واتقانه، رجاء ثواب الله عليه وذخره فتم ذلك في سنة احدى واربعين ومائتين على بركة الله وعونه...مسرور..).

(2)المقتبس، ابن حيان، تحقيق: محمود علي، ص225 ؛ كذلك ابن عذاري، م.س، ج230/2؛ المقري، م.س، ج347/1؛ مورينو، م.س، ص65؛ قرطبة، سالم، ج305/1-309، 296-297.

(**) أزيلت المقصورة الخليفية بامر من ملك قشتالة واقيم مكانها المصلى الكبير، ينظر: عنان، م.س، ص25.

(3)المقتبس، ابن حيان، تحقيق: محمود علي، ص219 ؛ كذلك ابن الاثير، م.س، ج330/1؛ ابن عذاري، م.س، ج230/2؛ ابن خلدون، م.س، م157/4؛ الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس، مرزوق، محمد عبد العزيز، بيروت، 1972، ص42؛ عنان، م.س، ص20.

(4) المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (229-275هـ) وكنيته ابا الحكم ولد عام (229هـ)، وكان محارباً توفي عنده حصاره لابن حفصون الخارجي عام (275هـ)، ومدة ولايته ولايته سنتان الا اسبوعين ولم يعقب فانقرض عقبه، ينظر: تاريخه، ابن القوطية، ص113؛ بغية، الضبي، ج37/1؛ المعجب، المراكشي، ص25؛ تاريخ، ابن الخطيب، ص23؛ المغرب، ابن سعيد، ج23/1؛ ابن خلدون، م.س، م159/4-160؛ اخبار مجموعة، مجهول، ص132.

(5) ينظر: ابن عذاري، م.س، ج230/2؛ المقري، م.س، ج561/1؛ اثار، عنان، ص30؛ العميد، م.س، ص224-225؛ قرطبة، سالم، ج331/1.

غير ان التوسعة الحقيقة للجامع بل للبلاد كلها ترجع الى العصر الذهبي لحكم الامويين عندما اعلنت الخلافة الاموية بالاندلس وخطب بلقب الخليفة عام (316هـ/928م) لعبد الرحمن الناصر[1] و(اصبحت قرطبة خلافة اسلامية قامت على ارض اوربية)[2].

والى الخليفة الناصر يرجع تأسيس المنارة المذهبة بشبابيكها الاربعة عشر وصومعتها العظيمة (45م) التي لا مثيل لها بالجدار الشمالي للمسجد عندما أمر عام (340هـ/951م) بهدم المئذنة الهشامية[*] لتصدعها، وبنى بالحجارة والصخر وبارتفاع (30م) مئذنة جديدة، على قاعدة مربعة طول ضلعها (8م)، وزين مكان الراقي للآذان بمقصورة (صومعة) بديعة النقش والزخرف ارتفاعها (15م) وزينها بالفسيفساء على طولها وبأعلى قبتها تفاحات ذهب وفضة سعة كل واحدة (3.5 شبر) وكان لها سلمين بمعدل (110 درجة لكل واحد) للصاعد والنازل فلا يلتقي الراقون فيها الا بأعلاها، وصفت بأنها (الجليلة الأعمال الرائقة الشكل والمثال)[3].

بالاضافة الى أعمال الترميم والتجديد لسقف الجامع والالواح الخشبية وواجهة المصلى المطلة على الصحن والتي تصدعت بفعل ضغط صفوف العقود على جدار القبلة، وذلك باقامة جدار جديد بمقدمة الواجهة وربطه بالجدار القديم، وفتح بابان بجداريه يشرفان على الصحن شرقاً وغرباً عند توسعته بالجدار، وعمل للصحن مظلة للحماية من الشمس يرى الاستاذ سالم بانها اضافة وتوسعة لجنبة وسقيفة[4] ثم قام بأصلاح باب المسجد وكسوة واجهته وأطرها بالفسيفساء الملونة (هدية ملك الروم) وبأشراف من وزير مبانيه بدر الدين بن محمد، وعمل سعيد بن ايوب، وعام 346هـ/958م، بدلالة نقش اللوحة الرخام يمين باب النخيل التي توثق ذلك و(زاد في المسجد الاعظم الزيادة الهائلة)[5]، وكان اول قرار يفتتح به

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله (299–350هـ) وكنيته ابا المطرف، بويع عام (299هـ) وهو اول من تسمى امير المؤمنين بأواخر السنة السابعة عشر من ولايته وصارت جميع اقطار الاندلس بطاعته واتصلت ولايته الى ان مات برمضان عام (350هـ) ولم يبلغ احد من بني امية مدته فيها وهو صاحب الاثار الخالدة والعمارة المتواصلة وكانت همته في البناء طامحة فوق همم الملوك وجبايته مقسومة ثلاث اقسام منها قسم للبناء وله مدينة الزهراء والناعورة وكان شغوفاً بالبناء ينظر: ابن القوطية، م.س ص155، الضبي، م.س، ج1/39–40؛ ابن الاثير، م.س، ج6/259؛ المراكشي، م.س ص25؛ الاحاطة، ابن الخطيب، م3/353؛ ابن خلدون، م.س، م4/165، 173؛ اخبار مجموعه، مجهول، ص135.

(2)تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، ، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2000، ص153. مؤنس، رحلة، ص86.

(*) اتهمت احدى المصادر الحديثة ان هدم المنارة الهشامية كانت لرغبة الناصر بتخليد اسمه كأول خليفة اموي بالاندلس، وهو اتهام لا صحة له لان انجازاته العمرانية كفيلة بتخليد اسمه، ونرى بان الزلزال الذي ضرب قرطبة عام 332هـ وعام 344هـ تسبب في ضرر للمنارة فتصدعت، ينظر: عذاري، م.س، ج2/211، 220.

(3)صفة، الحميري، ص155؛ كذلك، جغرافية الاندلس للبكري، ص104؛ ابن الخطيب، م.س، ج1/38؛ مسالك، العمري، م1/267؛ ابن الوردي، م س، ص12؛ نزهه، الادريسي، ج1/18؛ ذكر بلاد، مجهول، ج1/38، بيضون، م.س، ص323.

– وعلى نسقها شيد برج لاجيرالدا في اشبيلية، بروفنسال، م.س، ص213.

(4) يرى الاستاذ سالم ان الخليفة الناصر وسع الصحن بمدّ المجنبتين والظلة الشمالية، وانه غير أيضاً من نسق هندسة سقف المصلى من منشوري هرمي (الطراز السوري) عهد الامير الداخل والاوسط الى الواح مسطحة افقية وعلى النسق العراقي مستشهداً بذلك بعمارته للزهراء المتزامنة مع عمارته للجامع، ينظر قرطبة، ج1/338، 383–384، 393.

(5)اعلام،ابن الخطيب، ج1/38؛ كذلك : ابن عذاري م.س، ج2/228؛ ابن خلدون، م.س 42/ 185؛ تاريخ، مجهول، ص202؛عنان م.س، ص30؛ العميد، م.س، ص275، تاريخ، سالم، ص391؛ الفنون الزخرفية، مرزوق، ص42.

الخليفة المستنصر[1] (350-366هـ/961-976م) سنوات خلافته المديدة، ومن اليوم الثاني، هو العمل على توسعة الجامع لاربع خلون من رمضان (وهو اول عهد انفذه)[2]، وذلك بعد ان ضاق الجامع بمجموع الوافدين واهل البلد للرعاية والنهضة العلمية والحضارية بعهده والتي فاقت الخيال في العمران والتمصير، فقد تحولت الاندلس في عهده الى دولة كبرى تخطب دول العالم ودها[3]، فاستنفر عام (351هـ/962م)، اصحاب الخبرة الهندسية واشرف بنفسه على مخطط التوسيعات واوكل الى حاجبه (جعفر الصقلبي) بالاشراف على توفير وتأمين مواد البناء اللازمة ونقل الاحجار من الجبال والتي استغرقت سنة كاملة (350-351هـ) (فأبتدى بانتقالها)[4]، واقتضت خطة العمل للتوسعة نحو الجنوب من بعد الجناح الاول للداخل بالوسط وبشكل طولي ابتداءاً من جدار القبلة وحتى آخر بيت الصلاة الذي زاد احد عشر بلاطاً، واستكمالاً لنهاية توسعة الاوسط حيث صنع المهندسون احد عشر عقداً ضخماً من ثلاثة فصوص، على شكل حدوة الفرس عبارة عن نصف دائرة مترابطة فيما بينها وهو اول ظهور للعقد المفصص في العمارة، قائم على اعمدة رخام[*] سوداء مجزعة بالابيض والوردي وبتيجان مزخرفة تنفتح على احد عشر بلاط لتفصل بين البناء القديم والزيادة، فوصل جدار الجامع الى ضفة النهر، حيث مُدّت صفوف الاقواس القديمة مسافة (46م) فزاد بذلك طوله لاكثر من مئة ذراع، وصارت مساحة المصلى ثمانية الاف متر مربع من مجموع المساحة الكلية للمبنى (173,65م طولاً × 76م عرضاً)، وتضاعفت للنصف تقريبا فأستحق ان يسمى بالمسجد الثالث، وكانت من احسن ما زيد في الجامع[5]، فكان اوسع مصلى بالعالم الاسلامي واستغرق سنوات ستة (351-356هـ) لعمارته وهي موثقة بخط المستنصر، ونفقة اجمالية كبيرة فاقت (2,61537 ديناراً) وبتلك التوسعة (كملت محاسن الجامع)[6].

اضاف لتلك التوسعة قباب حجرية مميزة الصنعه ذات عقود متشابكة ومتقاطعة على اعمدة موزعة هندسياً لتتحمل ضغطها بدلاً من الركائز الضخمة للمتانة والجمالية بينت هندسة بناء مبتكرة وذكية، وعددها اربعة جعلها ببلاط زيادته

---

(1) الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله المستنصر، (302 - 366هـ) وكان حسن السيرة محباً للعلم والمكتبات والعمران وصلت الاندلس بعهده الى قمة البهاء ونافست دول العالم الكبرى بالاتساع والحضارة كان عالي الهمة عظيم الصيت وخاتمة العظماء من بني اميه، توفي بقصره بقرطبة عام (366هـ) بعد حكم ستة عشر سنة، تولى بعده ابنه هشام ولصغر سنه فقد استوزر ابن ابي عامر الحاجب، ينظر: الضبي، م.س، ج1/43؛ ابن الاثير، م.س ج/259-260؛ المراكشي، م.س ص26؛ ابن الخطيب، م.س ص42؛ ابن خلدون، م.س، م4/176؛ المقري م.س، ج1/369-378.

(2) ابن عذاري، م.س، ج2/233.

(3)تاريخ، خليل السامرائي واخرون، ص208؛ كذلك ينظر تاريخ، سالم، ص296؛ مورينو م.س، ص93.

(4) ابن عذاري، م.س، ج2/233.

(*) اشتهرت قرطبة بمقاطع الرخام في جبالها وباللونين الابيض الناصع البياض والوردي والتي حرص على استخراجها واستعمالها الحكام في عمارتهم، ينظر: ابن غالب، م.س، ص21؛ الحميري، م.س ص143؛ الادريسي، م.س، ج1/ 207.

-العقد المفصص، عبارة عن نصف دوائر مترابطة فيما بينها واول ظهور واستعمال لها كان في زيادة المستنصر للجامع، للتفاصيل، الفنون الزخرفية، مرزوق، ص42-43؛ رزق، م.س، ص250؛ كونل، م.س، ص20.

(5) ينظر: جغرافية الاندلس للبكري، ص102؛ ابن عذاري، م.س، ج2/233؛ ذكر بلاد، مجهول، ج1/170؛ تاريخ، ص82؛ مؤنس، م.س، ص83-101,84؛ عنان، عنان، م.س ص21؛ بيضون، م.س، ص323؛ العميد، م.س، ص225-226؛ 238؛ مورينو، م.س 30-31.

(6)تاريخ، سالم، ص309؛ للتفاصيل ينظر: ابن عذاري، م.س، ج2/241؛ المقري، م.س، ج1/562.

الاوسط للتأثير الجمالي وكالاتي، قبة الضوء المخرمة[*] الكبرى اعلى مدخل عمارته بشبابيكها الستة عشر لنفاذ اشعة الشمس برفاهية للمكان، وقبة فاخرة النقش والهندسة اعتلت عام 354هـ/965م اسطوان المحراب وأحاطها بأثنتين اصغر مزينة باللون الابيض ومزخرفة بنقوش نباتية على ارضية حمراء وزرقاء بالتبادل، لزيادة جمالية الاولى وللفخامة والإضاءة للمقصورة مكسوة بفخامة بالفسيفساء المذهبة والزخارف النباتية وايضاً بأكبر ثريا[**] بالجامع تدلت من قبة المحراب واصبحت نموذجاً لندارتها[1] وصفت زينتها (..كانها تيجان رصع فيها الياقوت والمرجان..)[2]، وامر (عام 354هـ) بعمل المحراب المجوف الغريب العمل والدقيق الصنعة برخامه الابيض وقبته الحجرية ذات الدعامات المشبكة المزينة بالذهب واللازورد وفصوص الفسيفساء التي أستحضرها بصناعها من ملك الروم[3] وتقليداً لعمل الوليد بن عبد الملك بجامع دمشق فكانت (320 قنطاراً) زينت واجهته وأرضيته وعقديه بالاضافة للآيات القرآنية والنقوش الكتابية التي وثقت بنقشين[***] كتابيين في ازارة الواجهة للمحراب وباللون الازرق على ارضية مذهبة عام (354هـ)، الاول لاسم المستنصر وعامله الموكل بالاشراف على نصب المحراب والعمودين الرخام السابقين (للمحراب الثاني) وعمل الفسيفساء والثاني للمشرفين الذين كلفهم الخليفة بتشبيك القبة، وهي اجمل ما في الزيادة الحكمية (اكسبت المحراب جمالاً رائعاً)[4]، والى المستنصر ينسب عمل المنبر العجيب الصنعة والتزويق بدرجاته التسع والمركب من ستة وثلاثين الف وصلة (حشوه خشبية) من فاخر انواع الخشب ومسامير الذهب والفضة ونفيس الاحجار اتخذ مكانه يمين المحراب، واستغرق عمله سبع سنوات فكان ليس بمعمور الارض مثله والذي ضاع مع الزمن ووصلنا وصفه بالكتب فقط، وكذلك عمل المقصورة الخشبية الفخمة (75 ذراع طولاً و22 ذراعاً عرضاً)، ذات الابواب البديعة الصنعة الغريبة النقش مزينة بالذهب والفضة والابنوس ومزينة بالفسيفساء أطرُها وكان مكانها في اتجاه القبلة حول المحراب بعد ان نقل المنبر القديم الى جانب المحراب في رجب عام (355هـ –

(*) ينظر لوصف قبة الضوء وتركيبها، سالم، قرطبة ج1/390-391؛ مورينو، م.س، 141-142.

– ينظر شكل (3).

(**) يحتوي الجامع على مئتان وثمانين ثريا مختلفة الأحجام موشاة بالذهب والنحاس الأصفر ماعدا ثريا المحراب والمقصورة فهما من الفضة، وللأسف لم يتبقى منها اليوم شيء، ينظر لوصفها: البكري، م س ص103؛ العمري، م س 267/1؛ ابن الوردي، م س ص12؛ الحميري، م س ص154، 157؛ قرطبة،سالم، ج2/140-141.

(1) لتفاصيل الهندسة والتركيب، ينظر العميد، م.س، ص236-238؛ قرطبة،سالم، ج2/140.

(2)تاريخ، سالم، ص308؛ كذلك، نزهة، غالب، ص29؛ ابن عذاري، م.س، ج2/237؛ المقري، م.س، ج2/89؛ الحميري، م.س، ص153.

(3) هي هدية صاحب القسطنطينية للخليفة الناصر عند الحميري، ينظر: صفة 154-155؛ الأدريسي، م س ، ج1/186.

(*) جعلها مورينو ثلاثة نقوش:

1- نقش على افريز عقد المحراب يوثق نصب المحراب والعمودين الرخام (امر المستنصر حاجبه جعفر بن عبد الرحمن لنصب هذين المنكبين فتم بذي الحجة 354هـ) .

2- نقش على افريز الاطار كذلك عباره عن كتابين محصورين في بحر فسيفساء مذهب على أرض مزجج لازوردي بمحيط المحراب (.. امر المستنصر حاجبه جعفر بن عبد الرحمن بتشبيك هذه البنية فتم بنظر محمد بن تمليخ واحمد بن نصر وخالد بن هاشم اصحاب شرطته ومطرف الكاتب).

3- نقش على وزرة المحراب للاشارة لتاريخ اقامة المحراب وكسوته بالرخام ولنفس الاسماء.. امر المستنصر بعون من الله فيما شيده من هذا المحراب بكسوته بالرخام فتم على يد حاجبه جعفر ونظر محمد بن تمليخ واحمد بن نصر وخالد ومطرف في 354هـ.

ينظر، الفن، ص161.

(4)الفنون الزخرفية، مرزوق، ص83.42؛ التفاصيل ينظر: ابن الخطيب، م.س ص42؛ ابن غالب، م.س، ص28-30؛ ابن الوردي، م.س، ص12؛ قرطبة، سالم، ج1/341.397-400؛ مؤنس، م.، ص90-94.

966م)[1]، وانشأ داراً للصدقة بالجانب الغربي من الجامع وايضاً سبع وعشرين مكتب لتعليم اطفال المسلمين منها ثلاثة حوالي المسجد (فكانت من مستحسنات افعاله وطيبات اعماله)[2]، واهتم بعمل الميضاءات من أحواض رخام جلبت ألواحها من سفح جبل قرطبة وحفرت باليد حتى صار أحواضاً مزخرفة بنقوش نباتية عميقة توزعت بجوانب الصحن ولكل منها نافورة اوصل مائها بواسطة قناة محفورة بالحجر ومبطنة بالرصاص مدفونة من عين ماء بجبل العروس بعد ان هدم الميضأة القديمة في الصحن، ثم اوصل ما يفيض من الاحواض الرخام الى سقايات عملها بواجهات الجامع الشرقية والغربية والشمالية وذلك عام (356هـ/967م)، (وانفق اموالاً جليلة)[3].

وعند انتهاء مراحل التوسعة تم الاحتفاء بذلك رسمياً وبحضور الفقهاء والعدول واعيان البلد، واعلن المستنصر احتفالاً بالمناسبة بانه حبس ربع ما ورثه عن ابيه عن اجداده من الاقطاعات الزراعية في جميع اقاليم الاندلس ارباحها ومواردها على المحتاجين (تفرق عليهم غلات هذه الضياع كل سنة، واعتق كل مملوك من الذكران)[4].

وتختم سلسلة التوسيعات على يد الحاجب المنصور ابن ابي عامر (336-393هـ/947-1004م) عندما عالج ضيق المساحة الفارهة عن استيعاب الوافدين للصلاة الجامعة بان اضاف مبنى جديد الحقه بطرف الجامع من ناحيته الشرقية كلها[*](شماله حتى جنوبه)، فتحها على ارض واسعة تعادل مساحة الجامع تقريباً، بعد ان اشترى المساكن المشيدة على أرضها مخالفاً بذلك سابقيه في جهة التوسعة المعتادة (القبلية)، وذلك لانها الجهة الوحيدة المتبقية القابلة للزيادة فيها، فالجهة القبلية انتهى حدها البري بزيادة المستنصر حيث لاصق سور الجامع الخارجي رصيف نهر الوادي الكبير، والسور الخارجي للمدينة وباب القنطرة، وبالجهة الغربية هناك الشارع الرئيسي للمدينة (المحجة العظمى) والقصر الخلافي، وكانت الشرقية ارض واسعة مشيدة، فوقع عليها الاختيار بعد ان صالح سكان العمائر على ارضها واجزل لهم في السعر عام 377هـ/ 988م[5].

أضاف عرفاء البناء مبنى جديد كامل في الجناح الشرقي للمبنى يتوصل اليه من المدخل الرئيسي وهي بوابة برونزية ضخمة مزخرفة تعرف بباب النخيل المواجهة لباب الغفران، والزيادة عبارة عن ثمانية بلاطات (عرض الواحدة عشرة اذرع) تمتد لمسافة (48م) في السعة، مؤلفة من (245) عمود وقوس يفصل بين كل عمود خمسة عشر شبراً، وبنفس تصميم الاقواس والعقود المزدوجة السابقة على هيئة حدوة الفرس فوق الاعمدة بالجدار الشرقي، بعد رفع الدعائم (وعلى نسق هندسة توسعة المستنصر) مع فارق استعمال الحجر فقط دون الطوب الاحمر والاستعاضة عنه بتلوينها باللون الاحمر

---

(1) ينظر تفاصيل عمل وزخرفة المنبر والمحراب والمقصورة، ابن عذاري، م.س ج2/250؛ العمري، م.س، م1/266-267؛ الحميري، م.س، ص155، 157؛ الأدريسي، م س، ج1/186؛ ابن الوردي، م.س، ص12؛ المقري، م.س ج2/88؛ الفنون، مرزوق، ص154؛ العميد، م.س، ص226.

(2) ابن عذاري، م.س، ج2/240.

(3)ذكر بلاد، مجهول، ج1/37-39؛ للتفاصيل، المقري، م.س، ج2/88، 93؛ مجهول، تاريخ، ص86؛ ذكر بلاد، ج1/37-39؛ قرطبة، سالم، ج2/152؛ الفقي، م.س، ص209؛ مرزوق، م.س، ص143.

(4) ابن عذاري، م.س، ج2/238؛ المقري، م س ج2/86.

(*) يرى مورينو ان سبب ذلك هو لعدم التعرض لجدار وقبلة المسجد الرائعة العمل بزيادة المستنصر وهدمها. ينظر: م س، ص188.

(5) ابن عذاري، م.س، ج2/234.

والابيض (فأصبحت كالقديمة سواء بسواء)، وبتوسعة فاقت توسعة المستنصر وجعل في الزيادة ابواب[**] بكسوة حجرية مزخرفة ونقوش كتابية لآيات قرانيه لعقودها (البعض منها غنائم لاحدى غزواته عام 387هـ)، واحاط الصحن الذي زاد فيه الثلث على مساحته الاصلية بسور كبير له أبواب بارتفاع ثلاثة امتار، تلك الزيادة تعرف باسم جناح المنصور وكانت من ابواب البر والقربى[1]، ولاستكمال العمل فقد رتب استعمال الشمع للاضاءة بالداخل بالاضافة لاضاءة الثريات ذات الاحجام الفارهة المنتشرة داخله (فتطابق بذلك النوران)[2].

اصبح المجموع الكلي للمصلى تسعة عشر بلاطة بمساحة (347 ذراع طول × 250 ذراع عرض) وبمساحة كلية بلغت (22,250 م^2)، فاضحى جامع قرطبة (من اعظم المساجد الجامعة في العالم الاسلامي ان لم يكن اعظمها جميعاً)[3].

احتاجت هذه التوسعة الفارهة التي اشرف عليها بنفسه لأيدي عاملة ومواد بناء كثيرة، استعان فيها بحصة الدولة من الاسرى بالاضافة للعمال فكانوا (مع الصناع مصفدين في الحديد الا ان كمل البناء)[4]، لاتمام العمارة التي استغرقت اكثر من عامين ونصف (377-380هـ/987-991م)[5][*].

واضاف لميضاءات الصحن صهريج كبير (جب) تعويضاً عن الميضأة (الشرقية) التي هدمت عند التوسعة مربع الشكل حجري بجدران من الجص واربعة اعمدة عليها اثنى عشر قوساً ولها تسعة اقبية بثلاث فتحات مربعة، ثم عمل في جوانب الصحن ساقيات ثلاثة لكل واحدة عشرين بيت للتصريف وذلك عام (390هـ/1001م) (وكانت اثاره عظيمة)[6].

اصبح التخطيط النهائي للجامع بتوسعته الاخيرة عبارة عن مساحة واسعة (خمسة افدنة) بمعدل ثلاثة فدان للصحن، وفدانين للمصلى الذي تعامدت فيه تسعة عشر بلاطة، فكمل (330 ذراع طولاً × 230 ذراع عرضاً)، وبمجموع الف ومائتان وثلاث وخمسون سارية كلها رخام[**] لسقف البلاطات من مجموعها الكلي البالغ الفاً واربعمائة

([**]) ينظر وصف البوابات، مورينو، م.س، ص192؛ العميد، م.س، ص275-276.

(1)جغرافية، البكري، ص102؛ ابن عذاري، م.س، ج287/2؛ للتفاصيل ينظر : العمري، م س، م266/1؛ خليل السامرائي واخرون، م س، ص192، 208؛ بيضون، م س، ص365؛ بروفنسال، م س، ص232.

(2) ابن عذاري، م س، ج287/2.

(3) عنان، م س، 21؛ مؤنس، م س، ص102؛ العميد، م س، ص238.

(4)ذكر بلاد، مجهول، ج83/1.

(5) المقري، م.س، ج546/1-547؛ تاريخ،مجهول، 82-83.

([*]) جعلها مجهول في تاريخه عام (381هـ)، وجعلها صاحب ذكر بلاد الاندلس عام (390هـ)، ينظر: تاريخ، ص83، ذكر بلاد، ج40/1.

(6) ابن الخطيب، م.س، 76؛ كذلك: ابن عذاري، م.س، ج287/2؛ المقري، م.س، ج459/1؛ تاريخ،مجهول، ص83؛ ذكر بلاد، ج40/1؛ قرطبة،سالم، ج153/2؛ ج153/2؛ مورينو، م.س، ص193.

([**]) عند البكري، 1293 عمود رخام، جغرافية، ص103.

سارية[***]، يتوصل اليه من ابوابه الخمسة والثلاثون الموزعة على ارجائه، منها واحد وعشرون باب كبير مزدانة بالنحاس الاصفر المخرم واهمها باب الغفران شمال المنارة، ومنها باب فخم خاص بدخول الحاكم موقعه جدار القبلة، وجميعها مغشاة بالنحاس المموه بالذهب ومزينة بالزخارف والفسيفساء لاطار وواجهة الابواب الحجرية[1] فهو يعتبر بحق (اضخم عمل معماري قام به العرب في الشرق والغرب على السواء)[2].

المحور الثالث: مميزات الجامع الفنية والمعمارية:

انفرد جامع قرطبة الكبير بعمارة هندسية خاصة جعلته انموذجاً فنياً لن يجرؤا احد على تكراره وتقليده، تتابعه الحكام الامويون[****] بالعمارة والاضافات هندسياً وفنياً وبشكل اكسبه صفة الندرة والسمو حتى صار افخم واضخم عمارة دينية في العالم الاسلامي والاندلس ونموذج ناجح لدمج وتطعيم الحضارة الاندلسية بالتقاليد والفنون الشامية وعلى نسق المدينة الاسلامية، فاضحى (متحفاً للفن الاندلسي)[3]، الميزة الاولى تتمثل بسعة المساحة على اثر تتابع الاضافات حتى اصبح ثلاثة مساجد داخل الوحدة المساحية (الاوسط، المستنصر، الحاجب)، فأصبح ثالث الجوامع الاسلامية مساحة بعد جامعي سامراء (المتوكل وابودلف)[*] ،واعظم المساجد في الطول والعرض والعلو[4]، وبالنسبة للتخطيط العام الذي هو نموذج من العمارة الاموية للمسجد الاقصى القائم على اساس البلاطات المتجهة عمودياً على جدار القبلة، فانه اصبح التخطيط المستعمل لمساجد المغرب والاندلس والطابع المميز للعمارة الدينية هناك[5]، وكان لشكل العمارة الداخلية للمصلى باعمدته الرومانية والقوطية المنوعة الالوان والاحجام واقواسه وعقوده المزدوجة المحمولة على طبقتين من الاعمدة المتراكبة لتحمل السقف بطريقة هندسية جريئة ابدع المعمار بحساب كتلتها وثقل اوزانها بمعادلات رياضية دقيقة دلت على عبقرية وتألق في فن علم الهندسة المعمارية، واعطت المكان انفراداً بالتخطيط الذي اصبح من النماذج الاصلية للمسجد المسقوف القائم على اعمدة ممتدة لمساحات واسعة باعتماد تكرار الدعامة الواحدة والعمود واقواسه وبشكل متناغم النسق

(***) هي 1360 سارية من الرخام الابيض نقلاً عن وصف الوزير المغربي الذي زاره اواخر القرن (17م) ينظر: عنان، م.س، ص29، وجعلها ابن عذاري، 1416 سارية ينظر: م.س، ج287/2.

(1) للتفاصيل: المقدسي، م.س، ص188؛ جغرافية، البكري، ص105؛ الأدريسي، م س، ج1/ 186؛ ابن الوردي، م.س، ص12؛ م267/1؛ الحميري، م.س، ص155، 157؛ تاريخ، مجهول، ص84-85؛ قرطبة، سالم، ج394/1.

(2) مؤنس، م.س، ص68.

(****) اشترك بعمارته سبعة اجيال من الامراء وعلى مدى قرنين من الزمن ليظهر بحلته النهائية.

(3)تاريخ، سالم، ص307.

(*) جامع المتوكل (234-237هـ/848-851م)، ويعرف بالجامع الكبير مساحته العامة الخارجية (248,70 م طول × 165,80م عرض)، ومن الداخل مساحته (238,601م طول × 155,60م عرض).

– جامع ابي دلف للخليفة المتوكل كذلك، طول جداره (222,80م) من الخارج، للتفاصيل: ينظر: العمارة العربية الاسلامية في العراق،سلمان، عيسى واخرون، دار الرشيد، العراق، 1982، ج110/1-143؛ كونل، م.س، ص33-43.

(4) ينظر: العمري، م.س، م226/1؛ تاريخ، مجهول، ص80؛ مؤنس، م.س، ص71.

(5) العميد، م.س، ص235؛ مورينو، م.س، ص94؛ قرطبة، سالم، ج36/2، 60؛ كونل، م.س، ص21.

يسهل الاضافة والتعديل المعماري، فكان الميزة الثانية والفريدة النادرة للجامع من ابتكار مهندس عربي بحت[1]، ولصحن البرتقال او النارنج وغيرها من الاشجار[*] التي زينت القسم المكشوف منه الخالي من الرواقات البنائية (اول الامر) ومساحته الواسعة وميضاءاته (المحفورة يديوياً) بقنواتها الرصاص المدفونة وصفوف الاعمدة الرخام النصف دائرية الرابطة بين القسمين للاضاءة والتهوية هي ميزته الثالثة التي تكررت لاحقاً بمساجد الاندلس واقتداءاً بنخلات مسجد المدينة المنورة[2]، تعتبر تناظر وحدة البناء والتخطيط المعماري والزخرفي المنسجم لجميع المرافق ومراحل الاضافات والتي حرص عرفاء البناء ان توافق وتشابه عمارة الجامع الاولى، فلا يكاد يلاحظ اي اختلاف، ساعد بذلك هندسة البناء المرنة بالنسبة للاقواس المزدوجة وتكرارها بسهولة واستعملت لاول مرة بالعمارة الاسلامية، فكانت على نسق واحد أثبتت براعة مهندسي العمل وعرفائه في معالجة المعوقات بحلول هندسية اضافت للمسجد جمالاً وفرادة بالصنعة كعلاج قصر الاعمدة القديمة للمصلى والتوسعة الشرقية (الجناح المنصوري) وفكرة المنصة المستخدمة لرفع سطح ارض المسجد وسلالمها[3].

والمنارة الناصرية الفخمة بصومعتها وزينتها المذهبة أضافت ميزة معمارية جميلة لغرابة تصميمها فكانت (احد غرائب الارض)[4]، اما اصالة ودقة الزخارف النباتية والوانها المنوعة، والنقوش الكتابية والهندسية وشرائط الايات القرآنية والتي زينت سقفه وجدرانه بفصوص الفسيفساء الملونة والمذهبة والتي امتازت بلقب خاص لانفراد صنعتها فكان (فن العمارة والزخرفة الخلافي)، مدرسة فنية جديدة اعتمدها فنانوا الغرب بالاضافة للمسلمين فهي تروق العين وتستميل النفوس باتقان ترسيمها ومختلفات الوانها وبها برزت (عظمة الفن الاسلامي)[5]، وكانت الابواب النحاسية ذات الصفائح البرونزية والذهبية والتخريم والتخريم المذهل بالعقود الحجرية ذات الاجر الاحمر المحكوك باتقان من المكملات الجمالية التي زادت من فخامة المبنى، بالاضافة لمصحف الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رض) بكسوته[*]الذهبية المحفوظ بمقصورة خاصة يمين المحراب الثالث بعقديه المبتكرين وابداعه الهندسي والزخرفي العجيب يمين المنبر الفخم المستنصري بهيئته وكلفته المميزة، والتي تعتبر اقدم المحاولات لايجاد فن زخرفي تصويري للمساجد[6]؛ في حين شكلت قباب الجامع نموذجاً يحتذى به لاحقاً في مساجد المغرب والاندلس وكذلك العمارة الاوربية بالعصور الوسطى لانها تحول ملحوظ من البساطة الى الثراء الهندسي الزخرفي،

([1]) مؤنس، م.س، ص70؛ العميد، م.س، ص241؛ سالم، م.س، ج1/48، 53، 318؛ مورينو، م.س، ص31، 42؛ الجيوسي، م.س، ج2/265.

([*]) يحتوي صحن الجامع على 70 شجرة نارنج وزيتون وثلاث نخلات.

([2])وثائق في شؤون العمران في الأندلس، خلاف، محمد عبد الوهاب، المساجد والدور مستخرج من كتاب مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل (ت486هـ) مراجعة محمود علي مكي وآخرون، ط1، 1938، ص15، 39 – 40، الحميري، م.س، ص154؛ الادريسي، م.س، ج1/186؛ تاريخ، مجهول، ص114؛ عنان، م.س، ص22؛ بيضون، م.س، ص221-222؛ مورينو، م.س، ص29.

([3]) ينظر: الحجي، أندلسيات، ص162؛ مؤنس، م.س، ص69-71، 82، 74؛ العميد، م.س، ص238-239؛ كونل، م.س، ص20.

([4])تاريخ،مجهول، ص86؛ كذلك ابن الوردي، م.س، ص12؛ الحميري، م.س، ص155؛ ذكر بلاد، مجهول، ج1/38-39.

([5])الفنون، مرزوق، ص31، 80-81؛ كذلك قرطبة، سالم، ج2/37؛ مورينو، م.س، ص164-167.

([*]) يحتوي على مجموعة صفحات مكتوبة بخط الخليفة وعليها بعض النقاط من دمه (رض) وللأسف فقد عام (750هـ) عهد الأمير أبو الحسن المريني.

([6]) ينظر: ابن غالب، م.س، ص28-29؛ الحميري، م.س، ص157؛ عنان، م.س، ص22؛ العميد، م.س، ص241؛ الجيوسي، م.س، ج2/866.

فانفردت بطابع معماري خاص عرف بـ(الطابع الاندلسي) الذي اضحى المعتمد في صنع القباب هناك فهي اقدم بل اول نموذج لعمارة القباب ذات الاضلاع المتقاطعة بالاندلس، وابتكار جديد في العمارة الاسلامية ينفرد به الجامع بهندسة وفكرة تعدد القباب على المحراب وميزة إضافية لهندسة الجامع، دلت على براعة فن الهندسة ومهندسي جامع قرطبة الذين نجحوا في خلق تناسق عمراني وجمالي بينها وبلاط المحراب[1]، كما واستطاع المعمار العربي صنع تزاوج بين الهندسة الجمالية للمبنى مع المؤثرات البصرية والحسية التي انعكست بنجاح على حالة الراحة النفسية والشعور بالبهجة عند المصلين وشكل ميزة وعلامة فارقة للجامع الذي اصبح نموذجاً للذوق العام الاسلامي ومتفرداً من الناحية النوعية والرمزية[2]، ويعتبر تسجيله عام (1984م) كمعلم اثاري حضاري لدى منظمة اليونسكو العالمية لتكامل صفاته المعمارية والوظيفية ميزة مهمة لهذا الارث والاثر العالمي وأيضاً تصدره عام (2007م) لقائمة كنوز إسبانيا الأثنى عشر، اضافة لكونه معلن رسمياً كأثر قومي لاسبانيا منذ عام 1882م[3]، اخيراً فان جامع قرطبة الكبير يعتبر من افخم الاثار الاندلسية الباقية من مخلفات حكم الامارة ثم الخلافة الاموية هناك وشاهد على مرحلة من مراحل النضج الفني والمعماري الاسلامي والمثل الاعلى للعمارة الدينية اللاحقة بالاندلس والمغرب رغم المحاولات العديدة لالغاء هويته وصفته.

المحور الرابع: الاحداث التي شهدها الجامع:

للاحداث السياسية التي شهدتها قرطبة[4] بعد وفاة الحاجب المنصور انعكاس سلبي على جامعنا، الذي نال نصيبه من الضرر عام (399هـ/1010م) وما تلاها، بسبب الحروب الداخلية[*]، فكثر الهجوم والسرقة وادت الفوضى الى انتهاب بيت المال المقام في صحنه، وكذا المقصورة الخلافية التي اتلفت وانتهبت ابوابها الذهبية، واصيبت ممتلكاته بالضرر

([1]) نجح مهندسو العمل في معالجة ضغط القباب وثقلها وبفكرة هندسية جديدة تقوم باستبدال الفكرة المعمارية الاصلية (الركائز الضخمة) بابتكار فكرة هندسية زخرفية مستوحاة من طريقة تقاطع الضلوع، وهو تطور هندسي معماري بارع للحفاظ على جمالية النموذج وعدم تشويه العمل، ينظر: مؤنس، م.س، ص88، 96؛ كونل، م.س،ص20؛ مورينو، م.س، ص120؛ العميد، ص236-237؛ قرطبة، سالم، ج2/36، 42.

([2])تاريخ، سالم، ص308؛ اندلسيات، الحجي، ص41، 169؛ الجيوسي، م.س، ج1/391.

([3]) الفقي، م.س، ص73؛ الحجي، م.س، ص252؛ مورينو، م.س، ص16؛ مأساة جامع قرطبة، شهود، كاظم، مقال منشور في مجلة ادب فن الثقافية الالكترونية، 2015/12/29م، ص5 Infa@adabFan.com

([4]) قسمها الاستاذ سالم الى مراحل خمسة وعرفها بعوامل دثور قرطبة، للتفاصيل: قرطبة، ج1/109-119.

([*]) مفادها حروب اهلية وانقلابات سياسية للحصول على الحكم، اساسها حظوة البربر والصقالبة وسيطرتهم على مقاليد الامور عهد الحاجب المنصور (الحزب العامري) ثم تعرضهم للملاحقة والنكبة عندما قام محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) بانقلاب سياسي ضد عبد الرحمن بن ابي عامر واطلق اليد في ملاحقة البربر ونهب دورهم الذي تحول الى النهب العام والخراب لاكثر العمائر بقرطبة وسرعان ما دبت حرب جديدة دفعت العمائر ثمنها والمباني بخرابها عندما اعترض المهدي على مناصرة البربر لسليمان بن عبد الرحمن الناصر الذي هزم الاول (المهدي) واستلم مقاليد البلاد وتلقب بالمستعين (عام 403هـ) فكانت تلك الاحداث وما تلاها من انقسامات سياسية عامل اساسي لضياع الكثير من جهود وانجازات الامراء الامويين واثارهم بقرطبة والاهم انها تسبب بسقوط الخلافة وتقسيم البلاد الى دويلات وطوائف و(محيت اثار العمران ورسومه). للتفاصيل: ينظر: جغرافية الاندلس للبكري، ص105؛ ابن الاثير، م.س، ج7/217-218، 290؛ المراكشي، م.س، ص35؛ ابن عذاري، م.س، ج3/50-115؛ الضبي، م.س، ج1/44، 46؛ تاريخ، ابن الخطيب، ص111-118؛ الاحاطة، م3/355، م4/277؛ المغرب، ابن سعيد، ج1/24؛ ابن خلدون، م.س، م4/179-183؛ المقري، م.س، ج1/405-410؛ بيضون، م.س، ص379-380؛ اندلسيات،الحجي، ص158؛ بروفنسال، م.س، ص233-240.

من جديد باحداث الفتنة الثانية عام (540هـ/1143م) فسرقت اوصال منبره الفخم وزينته المذهبة والمفضضة، ومثلها سرقت ثريات الجامع النحاس والمذهبة التي فاقت المئتين وثمانين بمختلف الاحجام(**)، ونال المئذنة وزينتها الذهب ما نالها من اعمال الشغب وسرقت رماناتها اعلى قبة الصومعة[1].

لكن الضرر الاكبر والمستمر كان في (23 شوال عام 633هـ/ 1236م) عندما سقطت الاندلس الاسلامية على يد القشتاليين، وعلى اثرها تحولت هويته الدينية مع تشوية بالغ لملامحه الاندلسية الاسلامية فأصبح كنسية قرطبة الجامعة، وكاتدرائية تناول العذراء (سانتاماريا) عندما أقيم فيه قداس صلاة النصر بنفس السنة، وتحول الجزء الجنوبي من توسعة الحاجب المنصور الى مصلى سان كلمنتي على يد فرناندو الثالث[2]، ثم بدأت سلسلة التغيرات والاضافات تدريجياً، فابوابه الفارهة أغلق اكثر من ثلاثة عشر منها بالحجارة، وثم تغيير اسماء الباقي منها للاسبانية، واستبدلت بابه الرئيسية (باب الغفران) بآخر مع محاولة لتقليد زخارفه الاولى على يد الملك انريكي الثاني، واصبح باب الوزراء الغربي يعرف بباب (سان استيبان) بعد تجديد وتبديل عقده الحجري لضرر اصابة، واطلق على الابواب التي فتحت عند توسعة الأمير الاوسط بالواجهة للصحن، باب (دي لوس ديانيس)، وباب (سان ميجل) وهو باب الامير الرابط للقصر بواسطة الساباط (وهو الباب الوحيد الذي نجى من التغيير)، وظهر باب سان بدرو بزخارفه القوطية الجديدة، وتحولت احد البوابات الرئيسة بجانبه الشرقي الى باب (القديس ميخائيل)، وسدت الابواب الموصلة الى صحن النارنج عدا باب واحد بعد ان عزلوا بيت الصلاة عنه بجدار فقطعت عنه الاضاءة[3]، وازيلت المقصورة الخليفية الفخمة ذات القبة المذهبة جوار المحراب ليحل محلها المصلى الكبير عهد الملك الفونسو العاشر الذي قرر استخدام موقع قبة الضوء العظمى والبلاط الاوسط لبناء مدفن وكنيسة داخل الحرم (مدفن فيلافيثيوسا) بعد ان تحولت بقبتها المخرمة (قبة الضوء) الى مصلى فيلافثيوسا(***)، ومُحي أثر أقواسها المتشابكة بجدار جصي ورسومات فكان (مكعب صغير في فناء مسجد كبير.... مغطى بأعمال الجص المدجن)[4]، وفي عام (1371م) أمر ملك قشتالة انريكي دي ترنستمارا بعمل مصلى ومدفن له منتخباً شرقي قبة الضوء مكاناً لذلك فكان مصلى (سان فرناندو) نسبة لفرناندو المدفون هناك وايضاً أنريكي الثاني والفونسو الحادي عشر (عام 1350م)، وكُسيت جدرانه بزخارف جصية غريبة عن زخارف الجامع، ومن هذا المصلى وحتى الجدار الغربي للجامع تمت ازالة وهدم اعمدة البلاطات الخمسة الممتدة طولياً بينهما بعقودها وأقواسها لغرض عمل المجاز المسقف وجداره وايضاً المذبح المتصل بالضريح الملكي بهذا المجاز (عام 1489م)، وسبق ذلك تحول احد الاسطوانات المقابلة

(**) والمتبقي منها تم الاستحواذ عليه عند دخول الفرنسيين بقيادة نابليون لقرطبة، رحلة الأندلس، البتنوني، محمد لبيب، ط1، القاهرة، 2014، ص51.

(1) ابن الاثير، م.س، ج9/11-14؛ ابن غالب، م.س، ص29-30؛ العميد، م.س، ص229.

(2) ينظر، تاريخ، سالم، ص309,297؛ الفقي، م س، ص104؛ العميد، م س ص230؛ عنان، م س، ص20.

(3) مؤنس، م س ص105؛ سالم، قرطبة ج1/ 327,193؛ مورينو، م س ص65,63-66؛ البتنوني، م س، ص51,46.

(*) مصلى، فيلافثيوسا؛ نسبة لصورة العذراء، فيلافيثيوسا التي علقت هناك، وقد اكتشفت القبة لاحقاً بكامل عقودها بعد إزالة الإضافات التي غطتها عام 1888م، ينظر: مورينو، م س، ص141، 145-146.

(4) الجيوسي، م س، ج2/860؛ كذلك عنان، م س، ص22؛ مؤنس، م س ص72، 97؛ سالم، تاريخ، ص98؛ البتنوني، م س، ص 480، 50.

للمحراب الى مصلى، فظهر (عام 1384م) (مصلى سان اوغسطين)، ويصف ذلك التغيير مورينو بانه ضرورة محزنة، كما وتحول المسجد الثاني (زيادة المستنصر) الى (مصلى سان بدرو) و(سان لورنثو) امام المحراب[1]، ثم صدرت اوامر الامبراطور شارلكان (عام 1523م) بأزالة السقف الاندلسي الفاخر بزخارفه ونقوشه الاسلامية بحدود وسط الجامع ليتسع الفضاء للهيكل القوطي وقبته العالية بشبابيكها النحاس وكتب الصلوات والرموز الدينية، فتحول قلب الجامع (المبنى الاوسط) إلى كنيسة تتقاطع مع محور المسجد وأغلق الرواق وأقيمت كنيسة واسعة توسطت ما بين زيادة عبد الرحمن الأوسط والحاجب المنصور انتهى العمل فيها عام 1959م، وخسر المصلى بسبب ذلك ثمانين[*] عامود رخامي متكامل وفُصلت الوحدة المعمارية للمبنى بقطع الامتداد للعقود والأعمدة، فضاع معظم جماله وكانت (كالنقطة السوداء في وجه الحسناء)[2]،وسرعان ما رفض الامبراطور الإضافات والتغيرات التي لم تتوافق مع فخامة البناء وهندسته الأصلية فكانت تشويهاً أكثر منه عمارة وتزويقاً وأعلن ندمه على القرار بعد زيارته للجامع وللمرة الأولى وإطلاعه على كنوز الفن والعمارة والتزويق الاندلسي التي يزدان بها (..لو كنت أعلم ما هو عليه هذا الأثر من روعة لما كنت سمحت بأن يهدم.. وقضيتم على ما كان أثراً وحيداً في العالم)[3].

وتحولت القباب المستنصرية بشبابيكها المضيئة العالية إلى سقوف مستوية ذات نقوش ورموز دينية واستخدمت القبة الوسطى كمصلى ملكي وكذا الجانبيتان وغطيت باللوحات فساد البقعة الظلام، وتوزعت هياكل صغيرة بأرجاء المصلى وأعمدته الرخام شوهت ملامحها وأحالتها إلى جدران صماء حبست الإضاءة بالصور والتماثيل الدينية التي نصبت فوقها بعد أن جردت من زخارفها وزينتها الإسلامية الأندلسية وأضحى المبنى عبارة عن (هياكل لا نهاية لها)[4]، وتحول المحراب المستنصري الرخامي بعقوده المزينة والشرائط الكتابية إلى مكان سياحي بتذكرة دخول وأغلق بشباك نحاس وصليب أعلاه وأهمل المحرابان الأول والثاني وتركا بلا صيانة، وأحيط مع القبلة بدرابزين حديد، وتم لاحقاً إعادة ترميم العقد أعلاه وإزالة ما عليه من إضافات لتلفه الشديد درجة الهدم، ونالت المنارة[***] وقبتها نصيبها من الهدم وظهرت عليها آثار البلى والتلف الشديد وأصبحت برجاً لأجراس الكنيسة، وغطيت البدنة بكسوة حجرية أخفت معالمها الأصلية بعد تصدعها بشكل خطير أثر زلزال في (ق 17م)[5]، واستبدل سقف الجامع بألواحه الخشبية المكسوة بالقرميد والزخارف إلى أقبية جصية أثر عطب وتلف أصابها كبير بسبب الإهمال وعدم الصيانة، سبقتها إعادة أصلاح وتغيير لبعض عقود وتيجان الواجهة المطلة على الصحن لإصلاح ما تصدع بسبب ثقل العقود، واستخدمت لاحقاً (البعض منها) عند إعادة عمل

---

[1] ينظر، قرطبة سالم، م1/344، 380؛ العميد، م س، ص230-231؛ مورينو، م س ص96.

[*] عند البتنوني هي مئة وثلاثة وستون عموداً، ينظر، رحلته، ص50.

[2] البتنوني، م س، ص50، ينظر كذلك، مورينو م س ص52؛ تاريخ، سالم، ص309، عنان، م س، ص26-29؛ مؤنس، م س، ص83.

[3] العميد، م س ص231، وذلك عند مروره بقرطبة وهو بطريقه لأشبيلية فتوقف لرؤية البناء وللمرة الأولى، فهو لم يزر الجامع من قبل، فأعلى ندمه للقرار الذي أصدره.

[4] عنان، م س، ص24؛ كذلك ينظر، قرطبه،سالم، ج1/ 380، 386؛ مورينو، ص141؛ العميد، م س، ص235، 237؛ مؤنس، ص68.

[***] ينظر شكل (4).

[5] عنان، م س ص 29-30؛ سالم، م س ج1/40؛ البتنوني، م س ص46، 49-50، الفقي، م س، ص104.

السقائف (المجنبات) حول الصحن (ففقدت صورتها الخلافية الإسلامية)[1]. واختفت بشكل واضح جميع النقوش الكتابية الموثقة لاسم المنشيء وسنة العمل وأكثر ملامحه الأندلسية الإسلامية (عدا نقوش المحراب وأعلى باب المدخل)، ونقلت الكثير من لوحاته الرخام والشرائط الزخرفية والكتابية وكذا الألواح الخشبية المزخرفة للسقف والعوارض وأيضاً لوحات مجنبتي الصحن بتوسعة المستنصر، وغيرها إلى المتحف الاركيولوجي المقام قريباً من الجامع والذي يحتوي الكثير من المخلفات الأندلسية[2]، جرت لاحقاً محاولات لإصلاح الأخطاء البنائية المرتكبة بحق الأثر التاريخي وأصالته بإزالتها وإعادة البناء على الطراز الأول وترميم المتخرب من أجزائه بعد إعلانه أثراً قومياً لأسبانيا عام 1881م، فتم إصلاح مصلى فيلافيثوسا وأزيل الجدار الذي أقيم على القبلة وأعيد تركيب الألواح الخشبية للسقف وكذا الأرضية القديمة، واعيد نصب الأسقف الخشبية للبلاط الأوسط، وأصلح المتضرر من أبوابه الخارجية الخاصة بتوسعة المنصور فظهرت ثلاثة أبواب مواجهة للقصر بكامل نقوشها وفخامتها بعد إزالة ما كان يحجبها من بناء[3].

خلاصة القول، لقد حوّرت أكثر مفاصل الجامع المعمارية لتتلائم مع الطراز القوطي الكنسي لإقامة الصلوات، حيث تحول إلى مجموعة كنائس وهياكل بعد أن كان مقطعاً واحداً لثلاث مساجد فارهة متناظرة النسق والتصميم، وحلت رسوم القديسين وتماثيلهم محل الزخارف الأندلسية داخل السقوف والقباب التي أزيل أكثرها على يد أصحاب المعرفة بالفن الأندلسي والزخارف العربية من المدجنين في محاولة غير موفقة للبقاء على نسق موحد للمبنى مع جهود حثيثة للتحوير (بصيغة الفن القوطي) لكنها لم ترتقي لما كان فيه من إبداعات وعجائب أندلسية عربية، كان نتيجتها تشويه للفن لملامح المبنى ومعالمه الأندلسية والإسلامية وظهور ما يسمى (الفن المدجني)[4].

وبالرغم من كل ذلك ظل يعرف بالمسجد الجامع ومسجد الكاتدرائية وحتى وقتنا المعاصر عندما اقتصر التعريف بالمكان باسم الكاتدرائية فقط في الكتيبات السياحية، وتحول بجميع مميزاته الفخمة وفنونه المعمارية الإسلامية الملامح والبناء إلى معلم سياحي تاريخي يشير إلى إنجازات ورقيّ الفن والعمارة الدينية الإسلامية ببصمات وجهود الأمراء الأمويين هناك رغم محاولات التهميش والإلغاء والتي ما زالت مستمرة حتى الآن[5]، حيث الحدث الأخطر، عندما قامت أسقفية قرطبة بالاستفادة من أحد القوانين الأسبانية التي تجيز تسجيل ملكية المعابد وبأسعار رمزية، وبعيداً عن الإعلان الرسمي أبرمت المشروع ودفعت المطلوب وبدأت الاستعداد لنقل ملكية جامع الأندلس الإسلامي الأثري الإنساني العالمي إلى باقي ملكيات الكنيسة الإسبانية مقابل مبلغ (ثلاثين يورو ويعادل ستة وثلاثين دولار فقط)، وهو مبلغ زهيد جداً أمام صرح ديني جامعي وسجل كامل من الأحداث والأشخاص وجامعة لأربعة الآلاف طالب علم في عصر الخليفة المستنصر،

---

[1] العميد، م س، ص 231؛ ينظر: مورينو، م س، ص92؛ مؤنس، م س، ص68، 104.

[2] ينظر، عنان، م س، ص33؛ الفقي، م س، ص84، 104؛ قرطبه، سالم، ج1/ 381؛ العميد، م س، ص265.

[3] ينظر، البتنوني، م س، ص49-51؛ العميد، م س، ص232.

[4] لمزيد من المعلومات ينظر، تاريخ، سالم، ص297-299ح الجيوسي، م س، ج2/ 854-860.

[5] يذكر الفنان كاظم شمهود، وهو فنان عراقي مقيم بأسبانيا حالياً أنه زار الجامع حديثاً وشاهد الحواجز الخشبية ومواد العمل منصوبة داخل المصلى والعمل جاري هناك. ينظر، مأساة جامع قرطبة، مقال منشور في مجلة أدب فن الثقافية الالكترونية، بتاريخ 2015/12/29؛ Infa@asabfan.com

فأصبح كاتدرائية القديسة ماري، سيدة الانتقال وذلك في (2 مارس عام 2006)[1]، مع صمت غريب من الهيئات الآثارية العربية ودولها لمحو أثر يحوي من المفاخر والأسرار ما يحوي، فالجامع ورغم توقف وظيفته الأساسية، ليس فقد دليل شاخص على نهضة عمرانية فنية إسلامية أو تخليد لذكرى إمارة وخلافة إسلامية عربية تركت الكثير من بصماتها الحضارية على إسبانيا ودمجت مؤثراتها البشرية والعلمية والحضارية والاقتصادية في بوتقة الرقي وأساليب المعيشة المتحضرة التي ما زال ذكرها يشاهد عند زيارتها، والتي ساهمت بنقل الأندلس آنذاك (من شظف البداوة إلى رونق الحضارة)[2].

---

[1] الجيوسي، م س، ج860/2، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[2] الفقي، م س ص89؛ ينظر كذلك: خليل السامرائي وآخرون ص313 – 360؛ تاريخ، سالم، ص292-295؛ بيضون، م س، ص326.

- للوجود العربي الإسلامي متمثلاً بالحكم الأموي في الأندلس ودور الأمراء في نقل الكثير من مظاهر الحضارة بمختلف ألوانها، بدءاً من التنظيم الإداري والسياسي للبلاد على يد الأمير الداخل ورسوم الحكم والتقاليد السورية وكذا المظاهر الحضارية الشامية فإليه ترجع بوادر نمو الحركة الفكرية التي رفعت من شأن الأندلس لاحقاً إلى مركز الثقافة العالمية، وحتى التطور المدني والمجتمعي ورعاية المصلحة العامة عهد الأمير الأوسط الذي بدأ الخطوات الأولى لذلك متبعاً طريقة الخلفاء العباسيين في بغداد في مجال الإدارة والحكم فأسس داراً للسكة والنقود وأخرى للطراز الرسمي واستعمل الختم في معاملاته وبفضله وصل الماء العذب لمنشآت المدينة ومنازلها بقنوات مغلقة مدفونة ومغلفة بالمعدن، وإليه ينسب ترافد الكثير من رسوم الحضارة المدنية العراقية في العصر العباسي للأندلس وذلك راجع لاهتمامه الشخصي بذلك، وكذلك جموع الوافدين للبلاد، ويكفي أن نضرب مثالاً بسيطاً لشخصية عراقية واحدة وفدت للحاضرة وتركت الكثير من التغيرات بل أدخلت الكثير من المظاهر الاجتماعية والمدنية بدءاً بفنون الطعام وطريقة تقديمه وترتيب المائدة وأدواتها وكذا فنون الطبخ و أيضاً تغيير طريقة الملبس والهندام واستعمال الكسوتين الصيفية والشتوية للملابس بعد أن كان الصوف هو الملبس الوحيد والثابت على مدار السنة، وأيضاً أدخل طريقة الاهتمام بالمظهر والنظافة العامة وتصفيف الشعر وتنسيق ألوان الثياب، ناهيك عن دوره الأساسي في مجال فن الموسيقى والغناء وترتيب رسومه وضوابطه، وبالتالي ظهور لون الموشحات الأندلسية لتوافد أصحاب الخبرة من الجواري والمغنيين والشعراء من العراق وتدريبهم على يد زرياب الموصلي الشخصية الفنية الشهيرة وصاحبة الفضل لما سبق عرضه، أضف إلى ذلك ازدهار الفنون الصناعية وتوافد التجارات وما يترتب عليها من توافد الكثير من المظاهر الحضارية مع اهتمام وتوجيه واضح للحركة العلمية والتعليمية ورعاية الخلفاء الشخصية لذلك حتى كان مما يؤخذ على الخليفة الحكم المستنصر حبه للعلم والإطلاع على المعارف وشراء الكتب بشكل انعكس على توجهه السياسي لإدارة البلاد، وهنا لابد من التنويه بأن مكتبة قرطبة الرئيسية بخلافته كانت فهارسها فقط مدونة في أربع وأربعين مجلد، بالإضافة لسبعين مكتبة عامة أخرى عامرة بأمهات الكتب بالوقت الذي كانت اوربا تعيش عصور جهل وظلام بدائي (العصور الوسطى)وذلك راجع لتشجيع والده الناصر للمعارف والمطالعة ،فكان يرسل بطلب كتبها من العراق وهو اول من ادخل كتب الحساب والاعداد المترجمة من الهندية الى الاندلس، والى العرب يرجع فضل ازدهار الزراعة ونشاطها بالاندلس ،واصلاح الاراضي لاستثمارها بالانتاج الزراعي وشجعوا على ذلك بالغاء الاقطاع ومنح مالكي الارض حرية التصرف بها وهو ما كان ممنوعا قبلهم ،فازدهرت الاراضي وعمرت المدن وازدانت بالمباني وعلى ضوء ذلك انتعشت الصناعة والتجارة وارتقت البلاد بعد ان كانت مهملة متروكة عهد الحكام القوط الاقطاع ،حتى وصفها الرحالة الوافدين بانها بغداد الثانية واسهبوا في شرح مفاصلها وازدهارها ونسبة خراجها وواردتها وبيت مالها العامر فاصبحت عهد امراء بني اميه وخلفائها (جنة وارفة الظلال تجري من تحتها الانهار)،نشرت واوصلت انجازاتها وثقافتها الى العالم الغربي الاوربي بنشاطها التجاري ،حتى انهم اعتمدوا طريقة معيشتهم وملبسهم رغم حالة العداء بين الطرفين فارتدى نبلاء قشتاله وارغون الملابس العربية الاندلسية ونقشوا صورهم على السكة بها واعتمد الملك فرديناند الثالث والفونسو العاشر لباس حكام الاندلس عدا العمامة فهي تاج العرب، ويبدو ان اصالة العادات والتقاليد العربية الاسلامية وملائمتها للحياة المدنية الانسانية ان ظل الاغلب منه متبعا حتى عصرنا الحديث من طبيعة بناء وتخطيط المنازل وبعض الاعتبارات والتصرفات السلوكية ،وما زالت بعض المفردات العربية متداوله ،ويكفي الاشارة باعتراف اسبانيا بان الوجود العربي الاسلامي هناك يعتبر زهرة تراثهم التاريخي والفكري وايضا احتفالهم بمناسبة مرور الف عام على تاسيس الخلافة الاسلامية بقرطبه (عام 1936م) ،وايضا الاعتراف بتنظيم العرب لمجالات الحياة وفضلهم في ايصال الاندلس الى المدنية والتي منها انتقلت الى العالم الغربي الذي كان قابعا بغياهب الجهل ، والى العرب وفضلهم ترجع عصور الحكم العادل و الادارة النموذجية للبلاد حتى صارت الأندلس اعجوبة الزمان في العصور الوسطى وارقى بلاد العالم (فقدمت للانسان اروع المنجزات).
- وصف البتنوني عند زيارته للاندلس (1926 م)تخطيط المباني وحوض الماء وسط صحن المنزل ،وحشمة النساء، ينظر :رحلته ص53-55.
- ينظر للمعلومات: تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ،حموده، علي محمد ، دار الكتاب العربي ،مصر،1957،ص160-163؛خليل السامرائي واخرون، م.س،ص143-149؛سالم ،قرطبه،ج78/2-90؛ بروفنسال،م،س،ص52- 57 ، 108 ؛ اندلسيات ،الحجي ، ص162 .
- -للمزيد من الاطلاع على ما سجله الرحالة المسلمون ينظر: المقدسي، م.س، ص187-190؛ ابن حوقل،م،س،ص111-114؛الاصطخري ،م،س،ص35؛ جغرافية الاندلس ،البكري ، ص101-105.

كان الأغرب من سكوت الهيئات العربية الآثارية، هو تأسيس (منتدى مسجد كاتدرائية قرطبة) بأسبانيا من قبل الأسبان وأستاذ جامعي أسباني يرفض نقل الملكية ويطالب بجعل الأمر مسألة دولية وعرضها على المؤسسات الدولية والبرلمان والحكومة الأسبانية ومنظمة اليونسكو التي أعلنت بتصريح رسمي أنها ستسحب لقب وصفة المعلم الأثري الإنساني العالمي عن الجامع في حال تمام المشروع، والمنتدى ينشط لتحقيق ذلك الرفض عن طريق جمع التواقيع الرافضة لنقل الملكية (بلغت أكثر من 80 ألف توقيع) ويطالب بإبقاء الجامع كرمز تراثي حضاري للجميع بدون تحديد هوية أو معتقد كدليل للتعايش السلمي والذي لاقى صدى واسع بأوساط المجتمع الأسباني، وحفز الحكومة الأندلسية على تشكيل لجنة لتتبع أي صلاحية قانونية تخول أحد الأطراف لإدارة ملكية أو جامع، وبدوره طالب المجلس الإسلامي بقرطبة بتحفيز واحترام البند الثالث عشر من اتفاقية التعاون لسنة 1993م بين الحكومة واللجنة الإسلامية الخاصة بالحفاظ على التراث الأندلسي ونشره والتأكيد على قدسية المكان للمسلمين والمسيحيين سواء[1].

يبقى السؤال الذي حفزني لاختيار الموضوع ماذا حل بملكية الجامع وما هو دور الدول الإسلامية والعربية بهيئاتها ووزاراتها الآثارية والمختصين بعلم التاريخ والآثاريين حيال الموضوع؟

الخاتمة

بعد سرد وترتيب المعلومات التاريخية وحسب ما توفر لدينا من مصادر ومراجع، نستنتج بعض الملاحظات المعروفة سابقاً والمسلم بها بديهياً ومنها :

1- ان بناء المسجد الجامع من اولويات تخطيط المدينة الاسلامية التي حرص القادة الاوائل على تحقيقها سواء بالبناء الجديد عند التمصير، ام بالاستعانة بما موجود من مباني وبعد تحويرها لتلائم الوظيفة الدينية للمكان عند التحرير.

2- الجامع من اهم مخلفات الامراء الامويين وعصرهم الذهبي في الاندلس وبصماتهم الفاخرة التي تعاقب على اتمامه سبعة اجيال بالزيادات والتجديدات وعلى مدى قرنين ونصف من الزمن.

3- ساعد الموقع وسعة المساحة على تحويله من بناء بسيط باللبن الى افخم واشهر جامع بالعالم الاسلامي توالت فيه التوسيعات والتجديدات ليتلائم مع عدد السكان ومكانة الدولة حتى استحق ادراجه ضمن قائمة الارث الحضاري العالمي.

4- جامع قرطبة هو مجموعة من ابتكارات المهندس المسلم والفكرة المعمارية القوطية ومواد البناء وأدواته الرومانية وأيدي عاملة عربية وأندلسية ورمانية انصهرت في بوتقة البناء وانتجت جامع قرطبة الكبير، فهو مساهمة مشتركة للجميع وارث مشترك.

5- فخامة البناء والتخطيط وجمال المكونات والمحتويات اشارة مهمة لنشاط دولة الامارة ثم الخلافة الاقتصادي وثروتها وتطورها الحضاري العمراني.

[1] بشري، مسجد قرطبة التأريخي من رمز للتسامح إلى موضوع نزاع، سلام حمودي، مقال منشور في جريدة العرب، العدد 10335، لندن، 15 تموز 2016.

6- انفراد البناء بمميزات وخصائص معمارية هندسية رشحته للتألق المعماري البنائي والانفرادية وعدم التكرار.

7- بالاعتماد على المصادر التاريخية والنقوش الكتابية على جدرانه واطار البوابات، التي تشير لاسم المنشئ والمشرف ومهندس البناء وتاريخه فان البناء عربي الهوية إسلامي، يؤرخ لفترة حكم العرب لاسبانيا ولا يمكن لاي تغيير او استبدال للزخارف الكتابية والملامح المعمارية ان تغير من هويته العربية الاسلامية.

8- يمثل الجامع مرحلة من مراح النضج الفني والمعماري للطراز العربي الاسلامي ونموذج للهندسة البنائية المرنة في اسلوب البناء من حيث امكانية الزيادة والتعديل وحسب الاحتياج، فهو تمثيل صادق لاصالة الارث الثقافي الاسلامي العربي للعمارة.

9- الجامع من اروع الاعمال المعمارية للمسلمين ودليل على البراعة الاموية في فن الهندسة والمعمار، ومثال للفن العالمي على مر العصور وباعتراف مؤرخي العمارة الاوربية.

10-الجامع هو مجهود مشترك وحق موروث لسكان البلد بمختلف هوياتهم ومعتقداتهم ولا يجوز التعرض له.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

1- الاحاطة في اخبار غرناطة، ابن الخطيب، ابي عبدالله، محمد بن عبدالله بن سعيد (ت776هـ)، شرح وضبط، يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 .

2- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، المقدسي، ابو عبدالله محمد بن احمد (ت390هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

3- اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرئها والحروب الواقعة بينهم، مجهول، تحقيق، ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.

4- بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس، الضبي، احمد بن يحي بن عميره (ت599هـ)، تحقيق، ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989.

5- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ابن عذاري، ابو عبدالله محمد (ت712هـ)، تحقيق، ليفي بروفنسال واخرون، دار الثقافة، بيروت، بلا.ت.

6- تاريخ افتتاح الاندلس، ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر بن مزاحم (ت367هـ)، ط2، تحقيق، ابراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.

7- تاريخ اسبانيا الاسلامية، او كتاب اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، ابن الخطيب، ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت776هـ)، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، 1956.

8- جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك، البكري، ابي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، (ت487هـ)، ط1، تحقيق، عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد، بيروت، 1968.

9- تاريخ الاندلس، مجهول، تحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
10- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ابن الوردي، سراج الدين ابو حفص عمر (ت861هـ)، مصر، 1992.
11- ذكر بلاد الاندلس، مجهول، تحقيق، لويس مولينا، المجلس الاعلى للابحاث العلمية، مدريد، 1983.
12- صفة جزيرة الاندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، الحميري، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (866هـ)، تحقيق، ليفي بروفنسال، مطبعة التاليف والترجمة، قاهرة، 1937.
13- صورة الارض، ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، بلا.ت.
14- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
15- فتح الاندلس، مجهول. تحقيق: نواكين، الجزائر، 1989.
16- الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ابو الحسن على بن ابي الكرم (ت630هـ)، دار الفكر، بيروت، 1978.
17- فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ)، لندن، 1858م.
18- المسالك والممالك، الاصطخري، ابن اسحق ابراهيم بن محمد الكرخي (ت ق 4هـ)، تحقيق، محمد جابر، الجمهورية العربية المتحدة، 1961.
19- مسالك الابصار في ممالك الامصار، العمري، شهاب الدين احمد بن يحي (ت749هـ)، تحقيق، كامل سلمان، دار الكتب العملية، بيروت، 2010م.
20- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، المراكشي، ابو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، شرح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
21- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الغرناطي، علي بن موسى بن محمد (ت640هـ)، ط1، حقق حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
22- المقتبس من انباء اهل الاندلس، تابن حيان، ابو مروان، ابن حيان بن خلف بن حسين (ت469هـ)، حقيق، عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965 .
- المقتبس من انباء اهل الاندلس، تحقيق، محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.
23- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الادريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت560هـ)، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1968.
24- نص جديد من كتاب فرحة الانفس،ابن غالب، محمد بن ايوب الغرناطي (ت ق 6هـ)، تحقيق، لطفي عبد البديع، مصر، 1956.
25- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)، تحقيق، مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

2- المراجع

1- الاثار الاسلامية الباقية في اسبانيا والبرتغال، دراسة تاريخية اثارية، عنان، محمد عبدالله، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

2- اثار المغرب والاندلس، العميد، طاهر مظفر، بيت الحكمة، بغداد، 1988م.

3- اندلسيات، الحجي، عبد الرحمن علي، ط1، دار الارشاد، بيروت، 1969م.

4- تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، السامرائي، خليل ابراهيم واخرون، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2000م.

5- تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، حمودة، علي محمد، ط1، دار الكتاب العربي، مصر، 1957م.

6- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، سالم، السيد عبد العزيز، دار المعارف، لبنان، 1962م.

7- تاريخ المغرب والاندلس، الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984م.

8- الحضارة الاسلامية في الاندلس، الجيوسي، سلمى، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

9- حضارة العرب في الاندلس، بروفنسال، ليفي، ترجمة، دوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، بلا.ت.

10-الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ)، بيضون، ابراهيم، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

11-رحلة الاندلس، البتنوني، محمد لبيب، ط1، القاهرة، 2014.

12-رحلة الاندلس حيث الفردوس الموعود، مؤنس، حسين، ط2، الدار السعودية، جدة، 1985م.

13-العمارة العربية الاسلامية في العراق، تخطيط مدن ومساجد، سلمان، عيسى واخرون، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد، العراق، 1982م.

14-الفن الاسلامي في اسبانيا، ترمورينو، مانويل جوميث، جمة، لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية للكتاب، 1977.

15-الفن الاسلامي،كونل، ارنست، ترجمة، احمد موسى، دار صادر، بيروت، 1966.

16-الفنون الزخرفية الاسلامية في المغرب والاندلس، مرزوق، محمد عبد العزيز، دار الثقافة، بيروت، 1972.

17-قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، دراسة تاريخية عمرانية اثرية في العصر الاسلامي، سالم، السيد عبد العزيز، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م، ج1.

18-قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، دراسة تاريخية عمرانية اثرية في العصر الاسلامي، سالم، السيد عبد العزيز، الاسكندرية، 1997م، ج2.

19-معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، رزق، عاصم محمد، ط1، مكتبة مدبولي مصر، 2000م.
20-المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، هنتس، فالتر، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الأردنية، 1955.
21-وثائق في شؤون العمران في الأندلس، (المساجد والدور)، خلاف، محمد عبد الوهاب، مستخرج من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل (ت486هـ)، مراجعة محمود علي المكي وآخرون، ط1، 1983.

3- الدوريات
1- مأساة جامع قرطبة، شمهود، كاظم، مقال منشور في مجلة أدب فن الثقافية الالكترونية، 2015/12/29م، InFa@adabfan.com
2- مسجد قرطبة التاريخي من رمز للتسامح الى موضوع نزاع مقال منشور في جريدة العرب، بشري، سلام حمودي، ع، 10335، لندن، 15 تموز، 2016.

شكل رقم (1)

المنظر العام للجامع

شكل رقم (2)

نظام الاقواس المتعامدة

شكل رقم (3)

قبة الضوء والمحراب

شكل رقم (4)

مأذنة الجامع